اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

أحمد شاهين

صناع الشر

دار المعارف

اقرأ
سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٦٩٥]

رئيس التحرير
رجب البنا

نائب رئيس التحرير

حمدى عباس

مدير التحرير

كريمة متولى

مدير فنى

شريفة أبو سيف

تصميم الغلاف

الفنان محمد إبراهيم

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الأخ والأستاذ الفاضل
على النجار ... أدام الله
الود والحب والتقدير

أحمد شاهين

صناع الشر

دار المعارف

أحلام شهرزاد

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٣

إهـداء

إلى روح أبى.. إلى أمى التى تهيم فيها روحى..
إلى زوجتى رفيقة كفاحى.. أهدى باكورة
إنتاجى من عصارة الفكر والبحث فى عالم
شديد الوعورة.. والخطورة!

أحمد شاهين

مقدمة

قد لا يعلم الكثيرون أن صناعة الشر كانت من (إبداع) الاتجاه اليميني المحافظ الجديد في الولايات المتحدة.. وهم بضع عشرات من المفكرين والمسئولين.. أغلبهم من اليهود.. هؤلاء هم الذين خططوا لإيصال هذا التيار المتطرف إلى قمة أقوى سلطة في العالم! بل أقوى قوة في التاريخ على الإطلاق!

هؤلاء اليهود احتلوا مواقع قيادية بارزة داخل الإدارة الأمريكية أو مؤثرة فيها بشكل قوى.. من خارجها.. إنهم يرون أن الفرصة سانحة لتغيير مجرى التاريخ! ولكن هناك العديد من الأسئلة التى تفرض نفسها على صُنّاع الشر: هل يتغير التاريخ بالقوة؟ ربما.. ولكن القوة لا تدوم.. وموازينها تتغير دائما والسؤال الثانى: هل يتغير التاريخ بالفكر؟ نعم حدث هذا.. وسوف يحدث مستقبلا. ولكن هل يحوى الفكر اليمينى المتطرف لهذه الزمرة التى وجدت امتدادات لها فى دول أخرى - مثل بريطانيا وإسرائيل واستراليا - هل يحوى هذا الفكر ما يغرى على اعتناقه والاقتناع به؟ وهل يمكن أن يستمر هذا الفكر مع زوال القوة التى تدعمه وتسعى لنشره قسراً.. وقهراً؟! الشكوك

تحيط بإجابة هذا السؤال. فالفكر لا يفرض بالقوة.. ولا يمكن أن يستمر بها.. بل إن القوة نفسها متغيرة.. وغير مستقرة.. هكذا علمنا التاريخ البشرى.. والشخصى.

وفى حوار أجرته صحيفة هآرتس الإسرائيلية العام الماضى مع حفنة من صُنّاع الشر أو المحافظين الجدد.. اليهود فى أغلبيتهم.. أكدوا مسئوليتهم عما يحدث فى العراق.. واعترف هؤلاء أن الحرب على العراق لم تكن بسبب أسلحة الدمار الشامل أو تغيير نظام دكتاتورى.. بل بهدف إعادة صياغة الشرق الأوسط بأسره.. من خلال إحكام السيطرة على ثروات النفط.. والعراق يمتلك ثانى أكبر الاحتياطى العالمى.

ولكن الهدف الأسمى والأبعد لصُنّاع الشر.. ليس الشرق الأوسط.. أو نفطه وثرواته.. بل السعى لتغيير وجه العالم بأسره.. وفرض سيطرتهم عليه. وبعد أن احتلت الولايات المتحدة العراق.. وأقامت القواعد العسكرية الضخمة على أراضيه.. بدأت تخطط لتنفيذ المراحل التالية من هذه الاستراتيجية (الشريرة) و (الشيطانية).. باستهداف دول عربية وإسلامية أخرى.. مثل التمهيد لغزو السودان أو إيران.. أو سوريا.. لقد أصبحت التهديدات علنية ومباشرة.. وهدفها تغيير الأنظمة أو سياسات تلك الأنظمة. المهم هو تحقيق المخطط الاستراتيجى لصُنّاع الشر.

وبسؤال (ويليام كريستول) الأب الروحى للأشرار عن هدف تلك الحرب.. الحرب ضد الإرهاب.. يقول: (إن تلك الحرب ذات مستويين.. الأول هو تغيير نظام (وحشى) كان يسعى للاستحواذ على أسلحة الدمار الشامل.. والمستوى الثانى - الأعمق - هو حرب أعظم وأضخم هدفها بناء شرق أوسط جديد. إنها حرب هدفها تغيير الثقافة السياسة لهذه المنطقة بأسرها. هذه المنطقة الخطيرة كما تراها الولايات المتحدة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

هنا يجب أن نتوقف قليلاً.. ونفكر ملياً.. فيما قاله كريستول عن تغيير (الثقافة السياسية للمنطقة بأسرها). هذا هو الهدف الحقيقى لتلك الحرب.. أى السعى إلى تغيير هوية الأمة وثقافتها وتراثها وعاداتها وتقاليدها.. والسعى إلى (أمركتها) بكل السبل.. المشروعة وغير المشروعة.. وبالقوة المسلحة إذا لزم الأمر. وهذا يحدث فعلاً.

ولكن السؤال الأهم الذى يطرح ويفرض نفسه.. هو: هل تنجح الولايات المتحدة بقيادة صُنّاع الشر فى بلوغ هذه الأهداف الخطيرة؟. التجربة العراقية لا تبشر بذلك.. ونموذج العراق الحر لم يتحقق.. وربما يتحقق فى المستقبل المنظور على الأقل. بل إن اختيار العراق كنقطة انطلاق حقيقية لتنفيذ استراتيجية صُنّاع الشر، ربما يكون اختيارًا خطأ استراتيجيا

وتاريخيا فادحا.. بحكم التعقيدات التاريخية والعرقية والمذهبية الضخمة التى تشهدها أرض الرافدين. وإذا كانت العراق هو مفتاح استراتيجية صُنّاع الشر.. وصُنّاعة الشر.. فإنها قد تكون نقطة نهايتها أيضا. ويبقى أن تدرك الولايات المتحدة أنها قد تصنع مجدا ضخما وسيطرة امبراطورية غير مسبوقة فى التاريخ.. وقد تكون الحرب على الإرهاب.. وفى محطة العراق بالذات.. هى نقطة النهاية لهذه الاستراتيجية.. ولتلك الإمبراطورية!

❑❑❑

الفصل الأول

التنظير للشر !

إنهما من أبرز صقور الإدارة الأمريكية الذين يريدون إعادة صياغة العالم.. بأسنان ديمقراطية حادة!!. أصدرا كتاباً جديداً يتحدثان فيه عن (نهاية الشر).. مع العلم بأن أحدهما هو أحد صناع هذا المصطلح. وخطورة ريتشارد بيرل.. وديفيد فروم أنهما يؤثران فى الإدارة الأمريكية سواء من مواقع الفكر وصياغة السياسات الاستراتيجية.. أم من مواقع السلطة. ويبدو أن كتابهما الجديد هدفه إعطاء دفعة جديدة لاستمرار الحملة العسكرية الأمريكية وتوجيهها نحو أعداء جدد! حتى إن (محور الشر) أصبح مصطلحاً مطاطاً.. يمكن أن يتسع ليشمل الكثيرين! بما فى ذلك فرنسا التى يطالب الكاتبان بوضعها فى خانة الأعداء والمنافسين!

يقول بيرل وفروم: إذا كان العالم قد شهد تحولاً عميقاً خلال العامين الماضيين (بعد سبتمبر ٢٠٠١) فلا يجب إلقاء اللوم على المحافظين الجدد فى أمريكا فقط.. ولكن مسئولية الفشل تقع

على العمل الدبلوماسى أيضا. ويلاحظ الكاتبان أن هناك شريحة كبيرة من الرأى العام الأمريكى وغالبية دول العالم ترى أنه لم تعد هناك حاجة لمحاربة الإرهاب مع مطلع عام ٢٠٠٢. وردّ فريق إدارة بوش (لا) بعرض وقائع المشهد الأول: ففى العراق هناك اختبار لمدى جدية أمريكا وقدرتها على الاستمرار فى الحرب ضد الإرهاب.. وأدى أسلوب كلينتون اللطيف إلى بروز وتطور كارثة كوريا الشمالية. أما الأمم المتحدة فقد أصبحت مسرحاً مبتذلاً للميلودراما السياسية.. حيث تشاهد الجماهير الغاضبة ذات المشاهد المكررة.. وذات الأداء الكئيب!!

ويواصل (المنظران) حملتهما المنظمة والشرسة فى كل الاتجاهات حتى إنها طالت وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين، وكذلك وكالة المخابرات الأمريكية (CIA).. فهما يتهمان كل تلك الأطراف المسئولة بالفشل فى التوافق مع عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. بمعنى أنهم يرون أن صناع القرار لم يتأثروا كثيراً بهذا الحدث الهائل. وهو ادعاء تكذبه الأحداث.. والحرب ضد الإرهاب.. ومحور الشر الذى ابتكروه ويقاتلون من أجل إزالته وتوسيع نطاقه! وهناك نقطة حيوية يعرض لها الكاتبان فى كتابهما (نهاية الشر) حين يذكران أن الرئيس بوش لم يقم بالرد على أحداث سبتمبر خارج نطاقها الأوسع. بمعنى أن هناك جذوراً أسبق وأشمل للسياسة الأمريكية الحالية وأنها لم

ترتبط بأحداث سبتمبر فقط. ويذكر بيرل وفروم أن بوش تحول من مرشح رئاسى يتعهد بتطبيق نهج أكثر قهراً وهيمنة على العالم.. إلى رئيس يتحدث عن إعادة صياغة العالم فى صورة أمريكية.. بمساعدة صقور مُنَظِّرِى الإدارة الحالية.. وفى مقدمتهم ريتشارد بيرل وديفيد فروم ذاته. ولعل هذا التوجه يثير الكثير من التساؤلات إزاء الدور الذى يقوم به صقور واشنطن ومدى التزامهم بالنهج المتشدد للسياسة الخارجية الأمريكية فى عهد وودرو ويلسون. وفى الوقت الذى يسخر فيه الكاتبان من العالم الإسلامى وتخلف مجتمعاته.. فإنهما يطالبان بإنعاش دور المرأة وحريتها فى هذا العالم حتى تقوم بدور محورى فى صناعة وصياغة سياساته. ويبدو أن صقرىَ واشنطن وصانعىَ الشر لا يريان الواقع ولا يقرآنه جيداً.. لا فى الولايات المتحدة.. ولا فى العالم الإسلامى. فكثير من الدول الإسلامية سبقت الولايات المتحدة ذاتها فى إعطاء دور أكبر وأنشط للمرأة وباكستان وإندونيسيا وبنجلاديش شاهدة على ذلك.. حيث ارتقت فيها المرأة أعلى المناصب التى لم تحصل عليها فى أمريكا ذاتها. ويبدو أنها لن تحصل عليها ما دام هؤلاء الصقور يتحكمون ويحكمون واشنطن. إنهم يدافعون عن المرأة ليس حباً فيها، أو رغبة فى إعطائها حقوقها.. بل رغبة فى استغلالها كإحدى أدوات تحقيق استراتيجيتهم الجديدة. كما أن

تراثنا وثقافتنا وحضارتنا.. بل وواقعنا.. تؤكد احترامنا للمرأة وتقديرنا لدورها.. بعيداً عن المزايدات والأغراض الخبيثة.

صقور واشنطن - خاصة بيرل وفروم - يَرَوْن العالم مكاناً خطيراً.. ويطالبون - بيرل وفروم - بتحسين هذا الوضع من خلال التطبيق النشط والحثيث للنفوذ والمبادئ والمثل الأمريكية. بمعنى آخر.. إنهم يريدون ديمقراطية ذات أسنان حادة!! وهم يتجاهلون التقارير التى أصدرتها المنظمات الدولية وكبار المفكرين الذين يرون أن العالم قد أصبح أكثر خطورة بعد أحداث ١١ سبتمبر. بل إن الإرهاب الذى يقودون حملة ضده الآن.. هم صنّاعه الأوائل والأساسيون.. وكانوا يحتضنون ويدعمون أكبر رموزه.. بمن فيهم ابن لادن وصدام حسين!!

الجذور الفكرية

ويرى المراقبون أن كتاب ديفيد فروم وريتشارد بيرل.. إنما هو بيان أو إعلان لبوش على لسان صقرين قاما بصياغة أفكاره وتوجهاته السياسية. إنها ذات العقلية التى تؤمن وتنفذ مخططا استراتيجيا بعيد المدى جرى الإعداد له منذ عقود من خلال مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية الأمريكية.. ثم جاءت لها الفرصة المواتية لتطبيق هذا المخطط على أرض الواقع.

وأحد أبرز محاور هذا المخطط (الشرير) يدعو لتغيير الأنظمة ولو بالقوة. وهنا تجب مناقشة نقطة تغيير الأنظمة بشيء من التروى. حيث إنهما يطبقان معايير متباينة.. وفق حالة كل نظام وعلاقاته الخفية والمعلنة.. ووفق مصالح أمريكا معه.. وأيضاً وفق تقييمهما لموازين القوى الإقليمية والدولية لحظة تغيير النظام ذاته. ففى الوقت الذى يطالبان فيه بعمل عسكرى ضد سوريا.. يفضلان التعاون مع المعارضة الإيرانية لتغيير نظام طهران! وبينما قاموا بالإطاحة بنظام صدام وبعمل عسكرى مباشر وضار ضد هذا البلد العربى المسلم.. يريان أنه من الأفضل فرض حصار على كوريا الشمالية على غرار الحصار المفروض على كوبا. كما أنهما يدعوان إلى إدخال السعودية وفرنسا فى خانة الأعداء.. بعد عقود طويلة من التحالف والمصالح التى ما زالت مستمرة وبقوة معهما. ففرنسا هى المستثمر الثانى فى الولايات المتحدة.. والسعودية - على رغم كل هذه الضجة - هى المصدر الأول للنفط فى العالم.. ولأمريكا!! وهناك علاقات اقتصادية ومالية هائلة بين البلدين.. حتى الآن.

وخطورة آراء هؤلاء الصقور تتزايد من خلال احتفاظهم بقاعدتين أساسيتين داخل إدارة بوش هما: مكتب ديك تشينى نائب الرئيس.. ووزارة الدفاع. وهؤلاء الصقور هم الذين قادوا

الحملة ضد العراق وخططوا لها منذ اليوم الأول لوصولهم إلى السلطة (وهذا ما أكده بول أونيل وزير المالية الأمريكى السابق الذى استبعده بوش من إدارته) وقد كانت البداية فى أفغانستان لمجرد تشتيت الأنظار والتمويه على الأهداف الأساسية للحملة العسكرية متعددة المراحل.

إنهم يسعون إلى إنشاء عراق (علمانى فيدرالى) كمدخل لتقسيمه.. ومحاولة جعله (نموذجاً) يحتذى فى المنطقة.. ليس من حيث الديمقراطية - فهم ليسوا حريصين على الديموقراطية بقدر حرصهم على مصالحهم - ولكن كنموذج للخضوع والهيمنة وبسط النفوذ بعد صياغته - أمريكياً!

ويواصل المنظّران شطحاتهما فى كتاب (نهاية الشر) مطالبين بتدخل واشنطن لدى الحكومات الأوروبية لتفرض عليها الاختيار بين واشنطن وبين باريس!! ويطالبان بضرورة الحفاظ على استقلالية بريطانيا عن أوروبا.. مع فتح الباب أمام صادرات السلاح البريطانية للأسواق الأمريكية!!

وقد علق أحد كبار الكتاب الأمريكيين وهو المحامى أنتونى زينانتى - على كتاب نهاية الشر.. قائلاً: إن هذا الكتاب يحتوى على تعبيرات سليطة وعنصرية، وفيه تعبيرات معادية للإسلام والمسلمين.. إنه أشبه بكتاب (كفاحى) للنازى الأكبر أدولف هتلر. وخطورة هذا الكتاب أنه صدر عن رجلين، كانا - وما زالا - فى

الإدارة الأمريكية الحالية سواء من خلال مواقع الفكر وصياغة السياسات الاستراتيجية أم من خلال مواقع السلطة السابقة. وهما يؤكدان الخوف العميق من الأجانب وجنون العظمة الذى يغذى السياسة الخارجية والداخلية الأمريكية المعاصرة. وكلا الرجلين مؤثران فى الرئيس بوش.. وهذا أمر مرعب.

ويواصل الكاتب والمحامى الأمريكى نقده لـ بيرل وفروم قائلاً: إن أغلب ما أورده الكاتبان حول القانون السياسى تشوبه الأخطاء، وإذا أوردا الصياغة القانونية بشكل صحيح فإنهما يقومان بالمبالغة فى إطارها ومحتواها. ومما يثير القلق والانزعاج إشارة فروم إلى تسلل الإرهابيين من خلال المهاجرين ونظم الهجرة.. لذا فإنه يقترح (روشتة) تقتضى خضوع الجميع لبطاقة هوية قومية تشمل معلومات بيولوجية.. مثل تحليل الحامض النووى DNA!! ومن خلال خبراتى وتجاربى فى المحاكم الأمريكية - سواء على مستوى المحاكم الفيدرالية أم محاكم ولاية كاليفورنيا - أعتقد أن الدستور الأمريكى يرقد حالياً على فراش الموت. وحتى قبل صدور هذا الكتاب الحافل بالتزييف.. فإن هناك ضغوطاً هائلة تطالب بتجاهل الحقوق الدستورية الأمريكية. ولست أدرى مدى التغيير الذى يمكن أن يحدث فى الولايات المتحدة إذا حدث هجوم إرهابى آخر.. أعتقد أنه سيكون تغييراً غير مسبوق.

ويواصل زينانتى تقييمه لكتاب بيرل وفروم قائلاً: مع الأخذ فى الاعتبار سوء التفسير والمبالغات التى يحتويها الكتاب فإنه يقودنا إلى الاعتقاد بأنه يهدف إلى تحقيق شىء آخر غير إعلام القارئ.. إنه يهدف إلى بث الرعب والشك فى قلوب القراء. ومع الأخذ فى الاعتبار خلفيات وتاريخ الكاتبين.. فإن الناس لسوء الحظ سوف يقبلون محتوى الكتاب دون مناقشة غالباً. وهدف فروم وبيرل إنشاء دولة شبه استبدادية.. وهذا الكتاب جزء من تلك الأجندة.

خفايا بيرل!

وإذا كنا قد تعرضنا للكتاب سريعاً.. فيجب أن نتعرض لأعماق كل من الكاتبين فقد كان بيرل يرأس الهيئة الاستشارية للدفاع بالبنتاجون.. ثم أصبح عضوا فيها ثم استقال منها أخيراً. كما أنه عضو بالمعهد الأمريكى American Enterprise وهو معهد يمينى شهير وأحد مراكز صناعة الفكر وصياغة السياسات الأمريكية المتشددة على مدى عقود. كما أنه عمل فى مجالات عديدة بما فيها الأمن القومى والبنتاجون وفى أوروبا والشرق الأوسط وروسيا. وهو عضو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية، ورئيس سابق لشركة إعلامية إعلانية. ومدير سابق لصحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية

التى تصدر باللغة الإنجليزية.. وهذه ليست الصلة الوحيدة له بإسرائيل!! كما تولى منصب مساعد وزير الدفاع لسياسات الأمن القومى من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٧. وكان أحد معاونى السناتور هنرى جاكسون (١٩٦٩- ١٩٨٠).

ولعل أهم المراكز التى كان يشغلها - على رغم علاقاته العميقة والوطيدة مع صقور الإدارة الحالية - هو عضويته بالهيئة الاستشارية للدفاع فى البنتاجون.. وهى تضم حوالى ٣٠ عضواً من كبار المسئولين السابقين فى الأمن القومى والبنتاجون والمخابرات. ويلتقى أعضاؤها عدة مرات كل عام فى وزارة الدفاع الأمريكية لمراجعة وتقييم السياسات الدفاعية للولايات المتحدة.

وريتشارد بيرل يساهم فى إدارة شركة Trireme Partner التى تم إنشاؤها فى نوفمبر ٢٠٠١ (أى بعد أحداث ١١ سبتمبر!) هذه الشركة تقوم بالاستثمار فى المجالات التكنولوجية والسلع والخدمات المتعلقة بالأمن الداخلى والدفاع. ووفقاً لخطاب أحد مسئولى الشركة.. فإنها توقعت زيادة الطلب على منتجاتها وخدماتها الأمنية والدفاعية مع زيادة الخوف من الإرهاب نتيجة تصاعد واستمرار الحملة ضده. وإن هذا الطلب سوف يشمل أغلب دول العالم.. خاصة الولايات المتحدة وأوروبا. ويؤكد

الخطاب الصلات التى تربط الشركة بالإدارة الأمريكية بشكل قاطع.. فأعضاء إدارتها من بينهم: ريتشارد بيرل.. أحد الصقور البارزين.. وهنرى كيسينجر وزير الخارجية الأمريكى اليهودى الأسبق وأحد رعاة هؤلاء الصقور من وراء الكواليس.. ومنذ زمن بعيد!. والعضو الثالث هو: جيرالد هيلمان أحد رجال الأعمال المقربين من بيرل الذى يتولى إدارة ومعالجة شئون الشركة من مكتب نيويورك.

هنا يجب الالتفات إلى نقطة فى منتهى الخطورة.. تتمثل فى أن رعاة وصُنّاع الحملة ضد الإرهاب أصبحوا أصحاب مصالح اقتصادية واستثمارية مباشرة تنتفع وتستفيد من استمرارها. فقد تأسست تلك الشركة سريعاً.. بعد ١١ سبتمبر بشهرين تقريباً.. بهدف الاستثمار الاقتصادى والمالى من الطلب المتوقع والمتزايد على الخدمات والمنتجات الأمنية والدفاعية.. وكما لو كان الأمر مخططاً ومبرمجاً مسبقاً! وليس مجرد استثمار أو شركة عادية!

وقد عمل ريتشارد بيرل كمستشار للسياسة الخارجية خلال حملة بوش لانتخابات الرئاسة.. وفى منتصف عام ٢٠٠١ عرض عليه دونالد رامسفيلد رئاسة الهيئة الاستشارية للدفاع بالبنتاجون (هذه الهيئة التى تحيطها السرية الكثيفة والغموض

والتى أسسها البنتاجون عام ١٩٨٥). وهى لا تقدم المشورة فى مجال السياسات الاستراتيجية فقط.. بل فى قضايا أخرى مثل مخصصات ومشتريات السلاح.. وخلال رئاسته لتلك الهيئة تم اعتبار بيرل موظفاً يخضع لميثاق السلوك الفيدرالى.. وهذا الميثاق يمنعه من المشاركة فى أى عمل رسمى يحصل منه على مصلحة مالية. ويشرح أحد المدعين الأمريكيين السابقين هذه النقطة قائلاً: إن القواعد العامة لقانون السلوك الفيدرالى تشترط عدم الاستفادة من المنصب الفيدرالى بأية طريقة.

والهيئات الاستشارية.. مثل الهيئة الاستشارية لسياسات الدفاع بالبنتاجون تحصل على خبرات الشخصيات البارزة خارج الإدارة وتستطلع آراءهم حول القضايا الاستراتيجية فى إطار من السرية والكتمان الشديدين. وغالباً ما يرتبط هؤلاء بصناعة الدفاع.. لذا تحدث نزاعات ومشاكل لا يمكن تجنبها. وأغلب أعضاء الهيئة الاستشارية للدفاع نشطون فى مجالس المال والأعمال. وقد أكد أربعة من أعضائها انخراط بيرل فى أنشطة شركة Trireme. ولم يكن هذا هو ارتباطه أو عمله الوحيد الذى يجمع بين رجال السياسة ورجال الأعمال! فقد سبق له العمل بشركة استشارات عسكرية.

وتناولت صحيفة نيويورك تايمز عام ١٩٨٣ قضية لـ ريتشارد بيرل.. ونشرت تحقيقاً يؤكد قيام بيرل بالتوصية بأن يقوم الجيش الأمريكى بشراء أسلحة من شركة إسرائيلية.. كان بيرل قد تلقى من أصحابها ٥٠ ألف دولار قبل ذلك بعامين. واعترف بيرل فيما بعد بقبوله هذه الأموال من الشركة الإسرائيلية.. ولكنه لم يعترف بوجود أى خطأ فى هذا الأمر! لأنه حصل على المال قبل توليه منصبه بوزارة الدفاع. والأغرب من هذا كله.. أنه لم يتم توجيه أى اتهام رسمى لريتشارد بيرل نتيجة دوره فى هذه القضية!

وقد خدم بيرل فى البنتاجون.. كما مارس نفوذه داخل جماعات الضغط ومجال الأعمال.. ومن بينها عمله كمدير بشركة تقوم بمشاريع للحكومة الفيدرالية.. وهى شركة بريطانية فازت بعقد فيدرالى كبير فى وزارة الأمن الداخلى التى تم تشكيلها مؤخراً! وقال بيرل: إن الصفقة تم إبرامها فى إطار مناقصة مفتوحة!

❑❑❑

الفصل الثانى

وولفوويتز مهندس الحرب !

هذا الرجل مهمته توفير وتوريد الأعداء المطلوبين.. حتى يمكن ضمان استمرار الحملة ضد الإرهاب.. وتبرير هذا الإنفاق العسكرى الضخم. وهو الذى يصور العالم.. وقد سيطرت عليه الولايات المتحدة كقوة مهيمنة ومطلقة.. على حساب الأعداء والأصدقاء أيضاً. وهو الذى دعا لشن سلسلة من الحروب الوقائية الاستباقية لمنع الآخرين من السعى لدور أكبر.. إقليمياً أو عالمياً.

إنه بول وولفوويتز مهندس الحرب ضد العراق وأحد صناع خطة غزو العراق منذ أوائل التسعينيات.. فى كتاب (أبيض) للبنتاجون يحمل اسم (دليل التخطيط الدفاعى).. بما يؤكد أن تلك الحملة لا علاقة لها بأحداث ١١ سبتمبر.. ولا بأسلحة الدمار الشامل. وهذه محاولة لقراءة فكر (الأب الروحى) لغزو العراق!

ومنذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١ يبذل صقور واشنطن جهوداً مضنية وفاشلة، لمحاولة الربط بين الحرب الأمريكية ضد العراق وبين تنظيم القاعدة. وعندما تثور وتفور الأحداث

العالمية على شكل متسارع ومعقد.. فإن ظاهرها غير باطنها.. لا تبدو الأمور على السطح.. مثلما هى وراء الكواليس! فقد تأكد أن الحرب ضد العراق ليست حرباً ضد الإرهاب.. بل إنها حملة من أجل السيطرة على النفط وأموال النفط التى لا يعلم أحد عنها شيئاً منذ بدء الاحتلال.. وحتى الآن. وتلك قصة مثيرة لها خباياها وخفاياها التى لا يعلمها الكثيرون!

والمحللون والمراقبون - بل القراء الأذكياء - لا يغيب عنهم هذا التفسير والتقييم لتطورات الموقف الإقليمى والعالمى.

وهؤلاء يعلمون مدى الضغوط الهائلة التى تتعرض لها وسائل الإعلام الرئيسية فى العالم، كى تظهر الوجه المشرق للأحداث - إن كان لها وجه مشرق - !!.. ولكى تتجاهل أبعاد المستنقع الذى غاصت فيه أمريكا.. فى العراق وأفغانستان.

ولكن المدهش والمثير.. هو أن تلك الحرب قد تم التخطيط لها قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ .. وتحديداً منذ تقديم (كتاب أبيض) إلى البنتاجون بعنوان (دليل التخطيط الدفاعى) أو ما يعرف اختصاراً باسم DPG ثم جاءت أحداث سبتمبر لتوفر المبرر الملائم والفرصة الذهبية التاريخية كى يقوم المحافظون الجدد بشن حملتهم التى تم التخطيط والإعداد الجيد لها.. ضد العراق.

سبق التخطيط والترصد!

لقد جرى الإعداد والتخطيط لتلك الحملة قبل عقد كامل من أحداث سبتمبر ٢٠٠١ . والرجل الأول وراء إعداد هذا (الكتاب الأبيض) هو بول وولفوويتز نائب وزير الدفاع الأمريكى.. أو (وولفى) كما يهوى بوش أن يسميه!!.. قد يكون هذا كله معروفاً.. ولكن القليلين لا يعرفون.. من هو وولفوويتز الذى ساهم - مع عصبة الصقور المتطرفين فى واشنطن — فى صياغة خطط غزو العراق منذ سنوات. بل إن أفكار وتوجهات وولفوويتز هى التى ساهمت فى تشكيل آراء ورؤى كبار المسئولين الأمريكيين الذين يحكمون ويتحكمون فى واشنطن. وتحديداً يمكن القول بأن تأثير (وولفى) كان بارزاً وبالغاً على ديك تشينى - نائب الرئيس الأمريكى - وكولن باول وزير الخارجية - والرئيس بوش نفسه!

إن وولفى.. هو الذى قاد العالم - من خلال القوة العظمى - نحو تلك المواجهة الدموية التى لا تبدو وشيكة النهاية. ويبدو أنه فكر فى البداية.. ولم يفكر ملياً فى أعقابها وآثارها.. وكيفية انتهائها.. أو إنهائها! وخطة وولفوويتز هدفها الأول والأخير تحقيق وتأكيد سيطرة أمريكا على العالم بأسره.. لذا فإنه لا يستطيع تبرير تلك الحرب الدموية أمام الأرامل والثكالى واليتامى من أهالى وعائلات الجنود والمجندات الأمريكيات

اللواتى قُتلن فى العراق.. وليس لديه ما يقوله للعراقيين الذين أصبح حالهم أسوأ وأسود من أيام النظام البائد الذى أدى دوره بكل براعة.. حتى نهاية المسرحية المأساوية! بل إن وولفوويتز لا يستطيع تبرير استمرار نزيف دماء الجنود الأمريكيين الذين تجاوز قتلاهم ١٠٠٠ شخص منذ بدء الغزو.. ناهيك عن آلاف الجرحى.. وعشرات المنتحرين.. وآلاف المرضى النفسيين.

ويبدو أن أمراض (حروب) الخليج سوف تواصل مداهمة الجنود الأمريكيين.. مادامت تلك العقلية مستمرة فى الحكم والتحكم.

ومن الواضح أن وولفوويتز لم يخطط لمصلحة أمريكا والعالم.. فى كتابه (الأبيض) الذى قدمه للبنتاجون. هذا الكتاب يرى أن أمريكا سوف تصبح (روما الجديدة).. كقوة عالمية مهيمنة. ومن الواضح أن (وولفى) لم يضع خططاً لعودة القوات الأمريكية إلى بلادها.. على الأقل فى المستقبل المنظور.. لأن لديه خططاً أخرى.. ففى عام ١٩٨٩.. كان وولفوويتز يشغل منصب نائب وزير الدفاع فى عهد بوش الأب وكلف تشينى (الذى كان وزيراً للدفاع فى إدارة بوش الأب) كلا من وولفوويتز وكولن باول (رئيس الأركان آنذاك) بصياغة السياسة الدفاعية الجديدة لأمريكا.. التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم (استراتيجية أمريكا الدفاعية) ثم قام تشينى - وثيق الصلة بالملف العراقى

منذ سنوات - بعرض تلك الاستراتيجية على بوش الأب.. لإقرارها ثم تنفيذها.

ووفقاً لهذه الاستراتيجية.. يتم بناء وإقامة وجود عسكرى أمريكى متقدم.. أو (قاعدة قوة)..كما يسميها باول. هذا المصطلح استغله وولفوويتز لتأويله إلى سيطرة أمريكا ليس على مناطق رئيسية وحيوية.. بل على العالم بأسره! وقد توافقت تلك الخطة مع رؤية وتفكير ديك تشينى الذى كان شديد الشك والحذر إزاء أوروبا الشرقية. وقام تشينى بعرض الاستراتيجية الدفاعية الجديدة على بوش الأب. وبعد سقوط جدار برلين فى ٩ نوفمبر ١٩٨٩.. بدأ وضع آليات تنفيذ تلك الاستراتيجية على مستوى العالم. وانزعج الكونجرس من رؤية (سام نان) العضو الديمقراطى عن ولاية جورجيا ورئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ آنذاك.. حيث عرض (نان) مفهوم (فراغ التهديد).. وقال إنه قبل إقرار الكونجرس لميزانية الدفاع الأخطبوطية (آنذاك) والبالغة ٢٩٥ بليون دولار (مقابل أكثر من ٤٦٠ بليون حالياً) - يجب أن يكون هناك إعداد لضمان الموافقة على هذا الإنفاق الضخم !

وكنائب لوزير الدفاع لشئون السياسات.. قضى الرجل سنوات طويلة من عمره يدعو لمفهوم السيطرة العسكرية الأمريكية. وقد صورت الوثيقة السرية (دليل التخطيط الدفاعى) عالماً

تسيطر عليه الولايات المتحدة سيطرة مطلقة.. على حساب الأعداء والأصدقاء أيضاً!! ولم تقل تلك الوثيقة إن أمريكا سوف تكون قوة.. بل أكدت أنها ستصبح القوة المطلقة المنفردة.. ودعت إلى شن سلسلة من الحروب الاستباقية أو الوقائية لمنع الدول الأخرى من السعى لدور أكبر. هذه الاستراتيجية الاستباقية أو الوقائية تقوم على عدة محاور.. منها: توسيع البناء العسكرى الأمريكى، وفرض الهيمنة المطلقة على الأعداء والأصدقاء، وممارسة التخويف والترهيب على مستوى العالم بطريقة تجعل الدبلوماسية هدفاً مستحيلاً!!

وها هو ذا وولفوويتز يتولى صياغة تلك الاستراتيجية، التى أزالت الدبلوماسية من قاموس السياسة الخارجية الأمريكية. وقد تم تسريب بعض محتويات الكتاب الأبيض للبنتاجون عمداً إلى بعض الصحف الأمريكية.. وحظى بانتقاد واسع.. خاصة فيما يتعلق بالدور الأمريكى على المسرح العالمى الجديد.. وقامت تلك الاستراتيجية فترة من الزمان.. عندما دخل بل كلينتون البيت الأبيض عام ١٩٩٣. وشملت الدراسة بعض التيارات الاستبدادية والشمولية.. مثل (إنشاء وحماية النظام الجديد) بما يمنع الدول الصناعية من تحدى قيادتنا.. وفى ذات الوقت إنشاء قوة عسكرية عالمية قادرة على ردع المنافسين المحتملين.. من مجرد الطموح نحو دور عالمى أو إقليمى أكبر.

وقد حاول وولفوويتز وزمرة الصقور من المحافظين الجدد الضغط على كلينتون لغزو العراق.. دون جدوى. وخلال فترة رئاسة كلينتون كرر وولفوويتز انتقاداته لقراراته المتصلة بالسياسة الخارجية فى مختلف أنحاء العالم. وفى عام ١٩٩٦ كتب (وولفى) مقالاً دعا فيه إلى شن حرب استباقية ضد العراق، قائلاً: إننا يجب ألا نظل ساكنين ونستمر فى تطبيق سياسة الاحتواء.. وننتظر حتى يمتلك طاغية كمية كبيرة من أسلحة الدمار الشامل ثم يهاجمنا.

عصبة الصقور

وبعد فشله فى الحصول على تأييد كلينتون بهجوم استباقى ضد العراق.. اتجه وولفويتز لتأسيس مركز للدراسات PNAC عام ١٩٩٧.. هذا المركز تبنى (مشروع القرن الأمريكى الجديد).. وعكس ذات الآراء والتوجهات التى وردت فى كتاب البنتاجون الأبيض DPG فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية.. وضم بين أعضائه: بول وولفوويتز.. وديك تشينى.. وكولن باول.. ودونالد رامسفيلد.. ووليام كريستول.. وريتشارد بيرل.. وجيمس وولسى.. ووليام بنيت.. ودان كوايل.. وجيمس بولتون.. وزلماى خليل زاد.. وخطط PNAC لتنفيذ أفكار كتاب البنتاجون الأبيض الذى صدر عام ١٩٩٢ ودعا إلى تحقيق سيطرة

أمريكية مطلقة على العالم. وأعيدت تسمية الكتاب من خلال PNAC ليحمل اسم: (إعادة بناء الدفاعات الأمريكية.. الاستراتيجية والقوات والموارد للقرن الجديد). ووفقا لهذه الصياغة الجديدة يجب أن تقوم أمريكا بالمهام التالية:

- بناء قواعد عسكرية أمريكية فى جنوب أوروبا وجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط.

- تحديث القوات الأمريكية وتطوير المقاتلات والغواصات والأساطيل فى مختلف أنحاء العالم.

- تطوير ونشر نظام صاروخى عالمى مضاد للصواريخ.

- تطوير نظم السيطرة على الفضاء الكونى!

- زيادة الإنفاق الدفاعى من ٣ إلى ٣,٨٪ من إجمالى الناتج القومى الأمريكى. هذه الدراسة صدرت عام ٢٠٠٠ .. أى قبل أحداث سبتمبر وما تلاها من زيادة هائلة فى ميزانية الدفاع الأمريكى.. حتى تتلاءم مع استراتيجية غزو العالم كما صورها pnac . هذه الاستراتيجية تجاهلت الدبلوماسية كوسيلة لحل النزاعات.. وسعت إلى تحقيق الهيمنة المطلقة من خلال التفوق العسكرى وخلق حالة دائمة من الحروب الاستباقية ضد أى عدو حقيقى.. أو افتراضى!!.. هذه هى رؤية المهندس الأول للحرب: بول وولفوويتز.

ومع وصول بوش إلى البيت الأبيض وجد أعضاء PNAC أن هذه هى فرصتهم لوضع خطة السيطرة العالمية موضع التنفيذ.. ولم يتردد بوش فى دعوة أعضاء pnac لشغل مواقع رئيسية فى إدارته.. خاصة فى وزارة الدفاع.. وعاد اللاعبون السابقون للسيطرة على الإدارة الأمريكية.. ومنها للسيطرة على العالم!! وكلنا يعلم المناصب الرئيسية التى تولاها أعضاء PNAC.. حتى زلماى خليل زاد مبعوث أمريكا إلى افغانستان.. كلهم ساهموا فى تنفيذ استراتيجية الحرب الاستباقية.. ولا يقولون الحقيقة عندما يعلنون أن حرب العراق سببها أحداث سبتمبر ٢٠٠١.. أو أسلحة الدمار الشامل المزعومة!

الكتاب الأبيض للبنتاجون جعل العالم أكثر سواداً.. وأصبح من المستحيل تقريباً أن يعود صناع الشر عن استراتيجيتهم.. لأن هذا سوف يفقدهم مصالحهم ونفوذهم.. ناهيك عن المكانة وماء الوجه. وعلى رغم كل محاولات تزيين أو تزييف الحقيقة.. فإن استراتيجيتهم عزلت واشنطن عن حلفائها.. كما أفقدت الولايات المتحدة كل رصيد (النوايا الحسنة) الذى جاهدت لبنائه منذ الحرب العالمية الثانية.. بل إن الحرب ضد الإرهاب ساهمت فى زيادته وتأجيج صناعة الشر.. بدلاً من محاولة إطفاء جذوتها.. أو هكذا تم تصميم تلك الاستراتيجية لبلوغ ذلك

الهدف. وأصبحت حفنة قليلة من الأشخاص هى التى تحدد سياسة أمريكا ومستقبلها.. على رغم أن بناء علاقات متعددة ومتوازنة وعادلة هو الذى يحمى أمن أمريكا وليس الغزو والسيطرة والهيمنة والحرب، التى تكلف واشنطن ٣,٥ بليون دولار شهرياً فى العراق.

الجانب الآخر من حياة مهندس الحرب يبدو عندما يرحب بزائريه وأصدقائه بحرارة.. ويروى لهم فقط الجانب المشرق.. من الصورة القاتمة! وهو الذى توقع أن يستقبل العراقيون الجنود الأمريكيين بالورود والود والترحاب.. محررين للعراق! وهو ذاته الذى اقترح معاقبة الدول التى عارضت غزو العراق بعدم منحها عقود الإعمار.. وقصرها على الحلفاء والأصدقاء! بينما كانت تشن الولايات المتحدة حملة ضارية متعددة الجهات من أجل تقليص أو الغاء ديون العراق.

وخلال سبتمبر ٢٠٠٣.. نظمت مجلة « نيويوركر» احتفالاً دعت إليها وولفوويتز.. الذى قوبل بمعارضة وعبارات نقدية حادة. وحتى نفهم عقليته يجب أن نعلم أنه يؤمن بأن هناك شراً أو شيطاناً حقيقياً فى العالم.. وأنه يقوم بمواجهة هذا الشر! إنه يرى العالم مكاناً خطيراً ويجب القيام بشىء ما لمواجهة ذلك الواقع!

ولعل نظرة سريعة على عالم (صناع الشر) تؤكد أنه أصبح أقل أمناً وأكثر خطراً.. وزادت الكراهية والأحقاد بين الشعوب.. وتباعدت المسافات.. على رغم محاولات العقلاء لبناء الجسور.. وإزالة فجوات الشر!

❑❑❑

الفصل الثالث

دوجلاس فيث.. لاعب وراء الكواليس!

(الخيار) الوحيد المتاح أمام إسرائيل هو مواجهة الأعداء العرب حتى هزيمتهم وقبولهم بشرعية تل أبيب التى تمثل قيمنا وقوى الخير). بهذه الكلمات عبر دوجلاس فيث نائب وزير الدفاع الأمريكى عن مدى رؤيته العنصرية.. على رغم حساسية منصبه فى البنتاجون، بل إن خطورة هذا المنصب تتجاوز الولايات المتحدة لتؤثر فى العالم بأسره من خلال الحملة ضد الإرهاب.

ومع ذلك فقد تعرض (فيث) لنقد شديد بسبب أخطاء التخطيط لمرحلة ما بعد غزو العراق.. وتجاهله لدراسات ومواقف أطراف أخرى.. حتى داخل إدارة بوش الحالية. ويبقى أن تعرف أن فيث لديه شركة محاماة..لها فرع فى إسرائيل.. وأكثر من ثلثى عملائها من المصالح الإسرائيلية!

ودوجلاس فيث يتولى منصب نائب وزير الدفاع للسياسات..وهو واحد من أهم المفكرين الذين صاغوا توجهات واستراتيجيات إدارة بوش الحالية.. ومن أهم الشخصيات النافذة

المؤثرة فيها.. وربما كان أقلهم شهرة وظهورا أمام وسائل الإعلام. ويبدو أنه يجيد العمل من وراء الكواليس أكثر من البروز إلى الأضواء المبهرة والمغرية! وفيث من أقرب المقربين لوزير الدفاع الأمريكى دونالد رامسفيلد.. أو (رومى) كما يهوى بوش أن يطلق عليه.

وقد واجه دوجلاس فيث حملة انتقادات شديدة فى ضوء الإخفاقات التى تتعرض لها القوات الأمريكية فى العراق.. باعتباره أحد صناع فكر واستراتيجيات الحملة الأمريكية ضد الإرهاب.. وقبل توليه منصبه الحالى.. ترأس فيث مركز السياسة الأمنية CSP.. هذا المركز الذى أسهم بشكل كبير فى تدعيم الحملة ضد الإرهاب من الناحية الأيديولوجية. وعلى رغم قلة أو ندرة ظهوره إعلاميا فإنه يعتبر أحد المحركات الفكرية لوزير الدفاع الأمريكى.. بل إنه أحد أهم الشخصيات المؤثرة فى السياسة الخارجية والأمن القومى الأمريكى.

تأثير عالمى ضخم

وباعتباره نائب وزير الدفاع للسياسات.. قام فيث بتحويل أحد الأركان والإدارات.. الغامضة نسبيا.. إلى أهم المراكز الفكرية المؤثرة فى أمريكا.. وفى العالم بأسره. والواقع يشير إلى أن الرئيس بوش قام بتبنى وتطبيق كثير من أفكار تلك الإدارة

الحيوية بالبنتاجون. وقد أغضب ذلك أطرافًا أخرى داخل إدارة بوش، خاصة وزارة الخارجية الأمريكية.

يقول ريتشارد بيرل عضو الهيئة الاستشارية الدفاعية بالبنتاجون والذى أسهم فى الاستعانة بـ دوجلاس فيث بالبنتاجون خلال إدارة ريجان.. يقول بيرل: (لا شك أن إدارة السياسة تحظى بأهم الشخصيات الثقافية المؤثرة فى إدارة بوش). ومن جانبه يرى ستيفن هادلى نائب مستشار الأمن القومى: (أن أعضاء تلك الإدارة لديهم الاستعداد للتفكير بشكل مختلف)!

وحقيقة فقد برزت الحاجة إلى فكر مختلف بعد وقوع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. تلك الهجمات التى وقعت بعد ستة أسابيع من تولى دوجلاس فيث مهام منصبه الحالى (فى يوليو ٢٠٠١).. وبرز هذا الفكر المختلف مع انطلاق الحملة الأمريكية العالمية ضد الإرهاب.. يقول فيث بعد بدء تلك الحملة: (تحدثت مع وزير الدفاع الأمريكى حول أساليب تدعيمها وتدعيمه هو شخصيًا.. فرد قائلاً: (إننى بحاجة إلى أفكار جديدة كل يوم).

منذ ذلك التاريخ.. بدأت ماكينة الأفكار إنتاج وتفريخ (إبداعاتها) بسرعة تفوق سرعة الصوت!! وقضى دوجلاس فيث وفريقه المعاون الذى يضم ٤٥٠ شخصا وقتا طويلاً لدراسة

العراق وأفغانستان ووضعوا تصورهم الاستراتيجى للحرب الأمريكية ضد الإرهاب.. وامتدت دراساتهم لتشمل كل مكان فى العالم.. تقريبًا!

وفيما يتعلق بروسيا درس هذا الفريق أبعاد ونتائج انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الصواريخ الباليستية، وساهموا وشجعوا على التفاوض من أجل تقليص عدد الرءوس النووية بشكل دراماتيكى.. وطالب فيث وإدارته بضرورة توسيع حلف الأطلنطى (الناتو) وتطوير علاقات استراتيجية مع الهند، والإسراع بالتحرك نحو غزو أفغانستان والعراق.

ولكن التركيز الأساسى لـ فيث وفريقه الضخم أكد على أن محاربة الإرهاب تتطلب استراتيجية عسكرية عالمية جديدة للولايات المتحدة. وقد أدت الاستراتيجية الجديدة إلى تقليص القوات الأمريكية فى ألمانيا وكوريا الجنوبية (على عكس الأزمة المفتعلة مع كوريا الشمالية.. وبما يؤكد أنها لم تكن ضمن محور الشر الحقيقى.. بل كانت مجرد ورقة للتمويه والإيحاء بأن الحرب ضد الإرهاب ليست قاصرة على العرب والمسلمين). كما اشتملت تلك الاستراتيجية التفاوض على إنشاء المزيد من القواعد الأمريكية فى مختلف أنحاء العالم.. وفى أماكن جديدة - مثل آسيا الوسطى - حيث تكون الحاجة المستقبلية إليها أكثر

بحكم قرب الموقع الجيوبولوتيكى. ولعل استراتيجية بناء قواعد عسكرية أمريكية جديدة أثرت فى الأسلوب القتالى للجيش الأمريكى.. بل وفى أسلوب استخدام الدبلوماسية الأمريكية على مدى العقود القادمة.

والإدارة المسئول عنها فيث تتولى صياغة سياسة واستراتيجيات البنتاجون.. وهى تقوم بدور محورى وحيوى فى تلك الدراسات التى تقوم بها أطراف أخرى فى الخارجية الأمريكية.. ووكالة المخابرات CIA.. ومجلس الأمن القومى.. وغيرها من الأجهزة المسئولة عن تلك المهمة. وهى تقوم بإطلاق فكرة ما.. ثم تقوم كل الأطراف المختصة بدراستها وتطويرها وتحسينها.

وتولى دوجلاس فيث مهمة أخرى.. تتمثل فى توثيق العلاقات مع هيئة الأركان المشتركة.. والتى تحظى هى الأخرى بإدارة لصياغة السياسات والاستراتيجيات. لذا جرى تعاون وثيق بين الإدارتين.. ويعقد مسئولو الإدارتين اجتماعات يومية لتنقيح آرائهم ودراساتهم قبل رفعها إلى رامسفيلد. ويرى البعض أن النجاح يولد الأعداء. ويبدو أن الإنتاج (الإبداعى) والفكرى لدوجلاس فيث لم يحظ برضى وقناعة الكثيرين. لم يستطع الرجل كسب أصدقاء مؤثرين فى الـ CIA وفى وكالة

استخبارات البنتاجون PIA التى لا ترحب دائما بمن ينافسونها فى التحليلات الاستخبارية!

ومن هنا ثارت حملة انتقادات ضد فيث وفريقه المعاون.. وركزت الموجة الأولى منها على (مكتب الخطط الخاصة) هذا المكتب الصغير الذى تم انشاؤه تمهيدًا لشن الحرب ضد العراق. وأطلقت وسائل الإعلام على هذا المكتب مسميات وعبارات مثل: (العصابة) أو (الجماعة السرية جدا) أو (لجنة الظل بالبنتاجون).. على غرار حكومات الظل المعارضة واضطر ويليام لوتى رفيق فيث لاتخاذ خطوة نادرة بعقد مؤتمر صحفى لتوضيح الأمور بعد الحملة التى تعرض لها مكتب الخطط الخاصة. هذه الحملة أكدت تحمل فيث ومكتبه مسئولية أخطاء التخطيط لمرحلة ما بعد الحرب، واتهمته أيضا بتجاهل الدراسات التى قامت بها وزارة الخارجية الأمريكية فى هذا الشأن. ولكن دونالد رامسفيلد كان له رؤى ورؤية أخرى حيث دافع عن فيث قائلاً: «إنه يقوم بدور جيد»!

أفكار عنصرية

نتعمق أكثر وأكثر داخل عقل وفكر دوجلاس فيث.. لنكتشف أنه يؤمن بفكرة الخير ضد الشر وقوى الظلام. هذه الثنائية الفكرية المطلقة والمسطحة سيطرت على أيديولوجية

ونمط تفكيره. وعلى هذا الأساس صاغ فيث صراع الشرق الأوسط. ولكن هذه الرؤية المطلقة تزداد خطورة مع حساسية وحيوية المنصب الذى يشغله فيث.. فهو واحد من أهم أربعة مناصب بالبنتاجون.

وبحكم منصبه يتولى فيث معالجة وصياغة استراتيجيات الأمن القومى والسياسات الدفاعية الأمريكية. وهو مسئول أيضا عن تطوير السياسات الخاصة بالتحالفات والعلاقات الدفاعية مع الحكومات الأجنبية والمؤسسات العسكرية والمنظمات الدولية. ويتولى فيث تطوير وتنسيق استراتيجية وسياسة الأمن الدولى كما يتولى الإشراف على تنفيذها.. كما أنه يقدم رؤيته وتصوره لكل أنشطة البنتاجون الخاصة بنقل التكنولوجيا على المستوى الدولى..

بكل هذه السلطات والاختصاصات يبدو منصب دوجلاس فيث ذا نفوذ قوى وتأثير كبير.. داخل وخارج الولايات المتحدة. كما أن فيث يحظى بتاريخ عملى كبير.. سواء فى الحكومة أم القطاع الخاص. وبالإضافة إلى عمله فى البيت الأبيض ووزارة الدفاع خلال إدارة ريجان، فإن لديه شركة محاماة فى واشنطن. واشتغل فى مجالات نقل التكنولوجيا والمشروعات المشتركة والاستثمار الأجنبى فى مجال الصناعات الجوية والدفاعية.

وإذا كان فيث يرتبط فكريا وأيديولوجيا بمدرسة المحافظين الجدد.. فإن خطورته تتمثل فى نقل رؤية تلك المدرسة إلى العالم.. وإلى الشرق الأوسط بشكل خاص، فهؤلاء المحافظون يصوغون العالم ويصورونه على أنه صراع بين قوى الخير المطلقة.. فى مواجهة قوى الشر المطلقة!

ويرى فيث الصراع العربى - الإسرائيلى بذات الرؤية وبذات المصطلحات: الخير.. والشر! وتاريخ فيث حافل بالمواقف والآراء المضادة للعرب بل والمضادة لكل من يتحدى أو يسعى لتحدى إسرائيل. ويؤكد على حقها فى التفوق على العرب!

وكما كان الحال أثناء الحرب الباردة.. يرى فيث أنه لا مجال للمساومة بين العرب وإسرائيل. ومع صياغته للصراع العربى الإسرائيلى تلك العبارات المطلقة.. وهذه الرؤية العنصرية.. يعتبر فيث (أن الخيار الوحيد المتاح أمام إسرائيل هو مواجهة الأعداء العرب حتى تتم هزيمتهم.. وحتى يخضعوا ويقبلوا بشرعية إسرائيل وسيطرتها على فلسطين). ويضيف: (إن إسرائيل تمثل قيمنا وتمثل قوى الخير.. لذا يجب على الولايات المتحدة التوحد معها ودعمها فى مواجهة قوى الظلام)، أى ضد العرب.

ويتمادى فيث فى تصوراته العنصرية قائلا: (إن معارضة العرب للصهيونية هى محور الصراع مع إسرائيل). بل إنه قدم عدة توصيات لإدارة كارتر عام ١٩٧٩.. اقترح فيها:

● التخلى عن التوجه الكامل القائل بأن الضفة وغزة هما أساس الصراع العربى الإسرائيلى.

● التسليم بأن جوهر المشكلة يتمثل فى رفض العرب قبول دولة يهودية فى فلسطين.

● الابتعاد عن الخوض فى حق إسرائيل فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. لأن هذا يزيد الموقف العربى تصلبًا.. ويدمر العلاقات الأمريكية الإسرائيلية.. كما يزعم فيث.

● الالتزام بدور الوسيط - وليس الشريك - فى الصراع العربى الإسرائيلى.

وخلال الثمانينات والتسعينات.. واصل نائب وزير الدفاع الأمريكى انتقاد ومعارضة أية سياسة أمريكية لا تتوافق مع رؤيته وتصوره العنصرى. وانتقد إدارة بوش الأب لرفضها منح ضمانات القروض لإسرائيل بهدف إجبار حكومة إسحاق شامير على المشاركة فى مؤتمر مدريد للسلام. ومواصلة حملته المضادة والعنصرية خلال إدارة كلينتون.. وعارض كل الاتفاقيات التى تم التوصل إليها بين الفلسطينيين والإسرائيليين (من أوسلو إلى الخليل وطابا ووای بلانتيشين). واعتبر اتفاقية أوسلو تنازلاً إسرائيليًا لصالح الفلسطينيين.. كما أنها ساهمت فى زيادة الطموحات والتوقعات الفلسطينية!

استراتيجية تأمين المملكة!

وفى عام ١٩٩٦ .. شارك فيث وبيرل فى كتابة بحث قدماه لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو آنذاك.. وحمل عنوان: (التراجع الواضح: استراتيجية جديدة لتأمين المملكة) يقصد مملكة إسرائيل بالمعنى التوراتى الدينى. وهى إشارة ذات مغزى عميق. وفى ذلك البحث.. نصح التوأم الفكرى بيرل وفيث رئيس الوزراء نتنياهو بالتراجع الصريح والتام عن عملية السلام.. وأعادا تأكيد مزاعم إسرائيل فى أراضيها. وطالبا برفض مبدأ الأرض مقابل السلام.. كأساس للسلام!! ودعا كل من فيث وبيرل إلى دعم القدرات العسكرية الإسرائيلية لمواجهة سوريا والعراق (آنذاك!) والعمل على صياغة علاقة جديدة.. أكثر وثوقا وقوة مع الولايات المتحدة تقوم على الاعتماد على الذات والمصالح المشتركة).

ولكن فيث كان ملكيا أكثر من الملك.. أو إسرائيليا أكثر من نتنياهو الذى قبل - تكتيكيا ومرحليا - اتفاقات أوسلو.. ووقع اتفاقيتين أخريين مع الفلسطينيين.

ويبدو أن وصول نتنياهو إلى الحكم كان نقطة التحول فى السياسة الإسرائيلية، وبداية مراحل التراجع الكامل عن عملية السلام.

وفى مقال مطول كتبه عام ١٩٧٧.. بعنوان (استراتيجية لإسرائيل).. كرر فيث ذات الآراء.. زاعمًا أن عملية السلام تم تصميمها لإضعاف إسرائيل.. وأنه لن يتم تحقيق السلام إلا بعد تحول المنطقة - وخاصة المجتمع الفلسطينى - نحو الديمقراطية!! وبما أن اتفاقية أوسلو حققت توقعات غير واقعية وكافأت الفلسطينيين على سلوكهم السيئ.. فإن الخيار الوحيد أمام إسرائيل هو إعادة بناء سياسة أمنية واستخبارية جديدة فى مناطق السلطة الفلسطينية.. وإعادة احتلال الضفة وغزة. وصحيح أن إسرائيل ستدفع ثمنًا غاليًا من دمائها.. ولكنه ثمن ضرورى للتطهر من السم!! وهذا هو السبيل الوحيد للتخلص من (مصيدة أوسلو)!

ليس غريبًا بعد كل هذا أن يرتبط نشاط وتاريط دوجلاس فيث بالمنظمات واللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة وخارجها.. خاصة المنظمة الصهيونية الأمريكية (ZOA) التى تعادى العرب فى الولايات المتحدة.. بل وتعادى اليهود الأمريكيين المعارضين لخط الليكود. لذا كافأت تلك المنظمة فيث وجعلته ضيف شرف لاجتماعاتها السنوية على مدى الأعوام الماضية.. وكما يقول موقعها على الإنترنت، إن الشركة تمثل العديد من الصناعات العسكرية الإسرائيلية الكبرى التى تقوم

بمشروعات مشتركة مع الولايات المتحدة فى مجال تصنيع وبيع النظم الصاروخية إلى البنتاجون والعالم.

بعد هذه الجولة فى عقل وفكر وتاريخ دوجلاس فيث.. نرجو أن تكون صورة أحد صناع الشر قد أصبحت أكثر وضوحا وجلاءً.. وخطورة!

❑❑❑

الفصل الرابع

واينر ماكينة صناعة الشر!

«إنه خطأ سياسى فادح.. لم يتم التعمق بشكل دقيق فى محتواه الإسرائيلى وهو مدفوع بأجندات سياسية معينة.. وليس مدفوعاً بالجملة ضد الإرهاب».. بهذه الكلمات وصف نيقولاى زلوبين الخبير الدفاعى الأمريكى مشروع القانون الذى قدمه عضو مجلس النواب الأمريكى أنتونى واينر.. أحد أهم ٥٠ شخصية يهودية فى الولايات المتحدة.

و(واينر) أحد ماكينات صناعة الشر فى الولايات المتحدة.. قدم العديد من مشاريع القوانين وتعديلاتها ضد كثير من الدول العربية والإسلامية خلال الأعوام الماضية. وعلى رغم عزلة مشروع القانون داخل الكونجرس.. يجب علينا الانتباه إلى أبعاده وأهدافه.. ودوافعه.. والعمل على إجهاضه.. مبكراً.

وقد قدم واينر مشروع القانون إلى مجلس النواب يوم ٢١ يناير الماضى زاعماً أنه يهدف إلى دفع مصر للانصياع والوفاء بالتزاماتها إزاء إسرائيل.. وفق اتفاقيات كامب ديفيد! ودعا

إلى تحويل كل المساعدات العسكرية المقدمة إلى مصر (حوالى ١٣٠٠ مليون دولار سنوياً) إلى مساعدات اقتصادية. وأضاف النائب اليهودى الأمريكى، أن مصر قد تعهدت - وفقاً لاتفاقيات كامب ديفيد- بوقف كل أعمال العنف تجاه إسرائيل.. ومنح إسرائيل اعترافاً دبلوماسياً كاملاً وتعزيز التعاون بين البلدين. وعلى رغم ذلك - كما يزعم واينر- فإن مصر قد فشلت فى الوفاء بالتزاماتها وفقاً لاتفاقيات كامب ديفيد!!

ويواصل ماكينة الشر اليهودية فى مجلس النواب الأمريكى مزاعمه فى مشروعه الموهوم قائلاً: إن مصر قد فشلت بالوفاء بالتزاماتها طبقاً لاتفاقيات كامب ديفيد التى تنص على ضمان عدم انطلاق أعمال العنف أو التهديدات من مصر إلى إسرائيل. ولكن القوات الإسرائيلية اكتشفت أنفاقاً عديدة لتهريب السلاح.

ومشروع القرار المزعوم ينص على (أن مصر قد التزمت بالاعتراف الدبلوماسى الكامل بإسرائيل وإنهاء المقاطعة الاقتصادية.. ولكن مصر ظلت عضواً بالجامعة العربية التى مازالت تقاطع إسرائيل.. وقامت باستدعاء سفيرها فى نوفمبر من عام ٢٠٠٠. كما وافقت مصر على تعزيز التفاهم والتسامح المتبادل بين البلدين والامتناع عن الدعاية المعادية.

ولكن جريدة (الأخبار) - وهى صحيفة تحكمها الحكومة - نشرت أعمدة بعنوان (شكراً لهتلر) وأذاع التليفزيون المصرى مسلسل (فارس بلا جواد) يقوم على أساس بروتوكولات حكماء صهيون.. وهو مسلسل معاد للسامية)!!.

ويواصل واينر نفث سمومه من خلال مشروع القانون زاعماً: على رغم عدم وفاء مصر بالتزاماتها طبقاً لاتفاقيات كامب ديفيد تقوم الولايات المتحدة بإرسال ١,٣ بليون دولار كمعدات عسكرية سنوياً إلى مصر.. وهى تستخدمها لشراء طائرات مقاتلة ومنصات لإطلاق الصواريخ ومدافع. لذا فإننا ندعو إلى تحويل تلك المساعدات من عسكرية إلى اقتصادية.. لإجراء إصلاحات اقتصادية. أو حتى يمكن استخدامها فى شراء سلع أمريكية غير عسكرية وفى مشاريع التنمية.

يقول واينر فى مشروع قراره سابق التجهيز والترصد: من المفترض أن تكون اتفاقيات كامب ديفيد مبشرة بالسلام والاستقرار والديموقراطية فى الشرق الأوسط. ولكن مصر لم تحقق الغاية من تلك الصفقة. وقبل أن نرسل دولاراً آخر لتسليح مصر يجب أن نضمن التزامها بمسئوليتها كى تكون صديقة لإسرائيل وجديرة باعتماد الولايات المتحدة كحليف فى الشرق الأوسط).

أسس واهية

هذا تقريباً هو نص مشروع أنتونى واينر الحافل بالمغالطات وقلب الحقائق، والذى يعكس أهدافاً سياسية ومناورات انتخابية ومصالح شخصية أيضاً.. فهو يدعى عدم التزام مصر باتفاقية كامب ديفيد فيما يتعلق بأعمال العنف.. والواقع يشير إلى عكس ذلك تماماً.. فإسرائيل هى أكبر دولة فى المنطقة والعالم بأسره تمارس أعمال العنف على مدى ٥٥ عاماً أو يزيد.. ضد الدول العربية وضد الشعب الفلسطينى الأعزل. وأغلب الحروب التى وقعت هى التى بدأتها أو حرضت عليها.. وهى التى احتلت أراضى الدول العربية.. بدءاً من أراضى الفلسطينيين ومروراً بسيناء والجولان.. وحتى مزارع شبعا بجنوب لبنان. بل إن إسرائيل هى الدولة العنصرية المحتلة الوحيدة فى العالم. أما لعبة أنفاق غزة.. فهى لعبة مكشوفة ومفضوحة تستغلها إسرائيل لتدمير مئات المنازل للمدنيين الفلسطينيين البؤساء وتلقى بهم فى العراء.. ويبدو أن واينر يرى ما يعجبه فقط.. ويسمع ما يهواه من الطرف الإسرائيلى اليهودى الأقرب إليه.

أما عن عضوية مصر بالجامعة العربية التى تقاطع إسرائيل.. فهذا يشير إلى مدى الخلل فى الفهم والتفكير الذى يتعامل به واينر، فمصر دولة عربية وستظل كذلك..

والتزاماتها العربية سابقة وقائمة ولاحقة لأية التزامات أخرى. والسبب فى سحب السفير المصرى من إسرائيل هو تصرفات وانتهاكات إسرائيل ذاتها.. فهى تدمر وتقتل وتشرد وتعتقل آلاف الفلسطينيين.. دون رقيب ولا حسيب.

ووسائل الإعلام المصرية حرة تنشر ما تشاء ولا رقيب للحكومة عليها. ويبدو أن صدر وعقل واينر قد أصبح أكثر ضيقاً وتشدداً بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١.. فقد أصبحت أمريكا أكثر ضيقاً بالإعلام الحر والنقد الهادف.. بسبب توجهات ونفوذ وضغوط صناع الشر فى واشنطن ونيويورك.. من أمثال واينر! ويبدو أن (الحرة) لا تحمل سوى اسمها.. ولن تستطيع (الماشطة تغيير الوجه العكر).. كما قال الصحفى الكبير جهاد الخازن!

وتحدث واينر عن أن اتفاقيات كامب ديفيد تبشر بمرحلة جديدة من الاستقرار والسلام والديمقراطية فى الشرق الأوسط.. وإذا كان هناك عنصر ودولة تحرص على تحقيق هذه الأهداف بكل أمانة وإخلاص فهى مصر.. وليست إسرائيل التى تعمل - فعلاً وقولاً- عكس ذلك كله. إنها لا تريد سلاماً ولا استقراراً فى المنطقة.. وقتلى وجرحى الفلسطينيين بعشرات الآلاف.. واحتلالها لأراضيهم وللأراضى العربية.. كلها شواهد تؤكد عدم حرص إسرائيل على السلام والاستقرار فى

المنطقة. أما الديمقراطية فهى نكتة سخيفة تتحدث عنها إسرائيل وأنصارها - مثل أنتونى واينر - ولا أحد يهتم بها لأن واقع التمييز العنصرى داخل إسرائيل وفى الأراضى المحتلة.. وبناء الجدار العنصرى.. كلها عوامل هدم للديمقراطية. وكل ما تقوم به إسرائيل من انتهاكات وممارسات يشجع على عدم التفاهم وعدم التسامح فى المنطقة. وإذا كان واينر منصفاً ونزيهاً فى توجهاته ومشروعه لطالب بمعاقبة المحتل ومعاقبة من يدمر بيوت الأبرياء ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ.. ولطالب بإزالة سور العزل العنصرى الذى يؤيده للأسف الشديد.

صهيونى الهوى والهوية !

ومواقف ماكينة صناعة الشر - أنتونى واينر - المؤيدة لإسرائيل على طول الخط.. دون منطق أو ديمقراطية.. عديدة ولا يمكن حصرها.. ولكننا نشير إلى بعضها، فما أن أعلنت الإدارة الأمريكية احتمال قيامها بخفض جزء يسير من ضمانات القروض المقدمة لإسرائيل (٢٥٠ مليون دولار من ٩ بلايين دولار مقدمة لتل أبيب هذا العام فقط) حتى هاج وماج وسارع ومعه ٧ أعضاء بمجلس النواب الأمريكى مطالبين الرئيس بالتخلى عن تلك الخطوة المحتملة.. التى لم تنفذ.. بينما استمر تنفيذ

الجدار العنصرى!! ومن الواضح أن بوش الابن لا يريد تكرار خطأ أبيه الفادح عندما ضغط على إسرائيل لحضور مؤتمر مدريد للسلام مهدداً بإلغاء ضمانات القروض.. فتم إلغاء رئاسته الثانية على رغم نجاحه فى حرب الخليج الثانية وتحرير الكويت! وعام الانتخابات الرئاسية الساخنة يتطلب حسابات مختلفة والتزامات برغبات إسرائيل، إذ كتب أنتونى واينر خطاباً إلى بوش يوم ٢٥ نوفمبر الماضى يطالبه بوقف الضغط على إسرائيل فيما يتعلق بالسور العنصرى.. مع إعادة التركيز على الإرهابيين.. وفى نص خطابه لبوش: (لقد أصبنا بالاضطراب والانزعاج لأن إدارتك هددت إسرائيل بخفض ضمانات القروض نتيجة بنائها الجدار العازل على طول الحدود مع الضفة الغربية. وربما كانت التغييرات الجوهرية المطلوبة من الفلسطينيين ذات نتيجة إيجابية.. أكثر من انتقاد الإسرائيليين لحمايتهم أنفسهم)!!

وهنا نشير إلى زعم (واينر) بأن الجدار العازل تتم إقامته على الحدود بين الضفة وإسرائيل، إذ إن إسرائيل هى الدولة الوحيدة مفتوحة الحدود.. كما أنها تقيم الجدار داخل الأراضى الفلسطينية لتلتهم المزيد منها.. ولا تقيمه على حدود ٤ يونيو ٦٧.. أى قبل احتلال إسرائيل للضفة الغربية. أيضاً يعارض اليهودى المتعصب أنتونى واينر خريطة الطريق - التى ضاعت

فى الطريق! - بل إنه طالب إدارة بوش باستخدام الفيتو ضد مشروع القرار الذى قدمته روسيا لمجلس الأمن خلال نوفمبر الماضى لإقرار خريطة الطريق، على رغم أنها من بنات أفكار إدارة بوش. ولكن إسرائيل أفرغتها من مضمونها.. بتحفظاتها واعتراضاتها العديدة عليها.

ماكينة الشر!

ومشروع القانون الذى قدمه (واينر) ليس الإبداع الوحيد لـ (ماكينة الشر)، فقد سبق أن قدم العديد من مشاريع القوانين التى تستعدى الولايات المتحدة ضد دول عربية وإسلامية مع إضافة كوريا الشمالية وكوبا.. ذرًا للرماد فى العيون! ومنذ فبراير ٢٠٠٢ وحتى فبراير ٢٠٠٤ قدم أنتونى واينر ٢١ مشروع قانون أو تعديلات لقوانين كلها ذات دوافع سياسية وانتخابية، وتحركها قوى الضغط الصهيونى والتيار المسيحى الصهيونى المتشدد الذى يقود أمريكا فى حملتها الشعواء الحالية. ومن أبرز التشريعات التى قدمها واينر خلال العامين الماضيين:

- فى ٢٠٠٣/٤/١١.. قدم مشروع قانون يطالب بمنع المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة للسلطة الفلسطينية لتمويل مشاريع وبرامج وأنشطة فى الضفة الغربية وغزة. وعلى رغم أن المشروع تلقى دعم عضو آخر - إضافة إلى واينر- فإنه يشير إلى

مدى الحقد الذى يعتمل داخله ضد الفلسطينيين.. والحرب التشريعية المنظمة التى يقودها ضدهم شارون فى فلسطين.. و(واينر) وأمثاله فى واشنطن.

- فى ٢٠٠٣/٩/١٧ قدم مشروع قانون لمنع تقديم مساعدة أو تعويضات لكوريا الشمالية وليبيا وكوبا وإيران وسوريا، والسعودية!! وحظى هذا المشروع بدعم أربعة أعضاء فى مجلس النواب.

- فى ٢٠٠٣/١١/٢١ قدم مشروع قانون يطالب بإيقاف الدعم السعودى للمؤسسات التى تقوم بالتمويل والتدريب والتحريض و التشجيع - أو بأى وسيلة أخرى- على الإرهاب.. وضمان التعاون السعودى الكامل فى التحقيقات حول الحوادث الإرهابية. وقد تلقى هذا المشروع دعم ٢٥ عضواً بمجلس النواب.

- فى ٢٠٠٣/٧/٢٣ قدم مشروع قانون يطالب بإضافة السعودية إلى قائمة الدول التى يحظر تلقيها دعماً أمريكياً مباشراً. ولم يحظ هذا المشروع بأى دعم من أعضاء الكونجرس!

- فى ٢٠٠٣/١٠/١٧ قدم مشروع قانون بحظر استخدام التمويلات المصرفية أو القروض لكوبا وليبيا وكوريا الشمالية وإيران والسعودية وسوريا.. وقد تلقى المشروع دعم عضو واحد فقط بالكونجرس!

عزلة المشروع (تقييد الدعم لمصر)

أما المشروع المقدم ضد مصر فلم يحظ بدعم أحد من أعضاء الكونجرس.. سوى ماكينة الشر.. أنتونى واينر.. فقط لا غير!! وهذا تطور مهم له دلالات عديدة:

إنه يشير إلى عقم الفكرة والأسس الواهية التى يقوم مشروع القانون.. وقد سبق أن فندنا جوانبه بعد عرض نصه.

ويشير إلى قناعة الغالبية من أعضاء الكونجرس - على رغم ولاء الكثير منهم لإسرائيل - بعدم جدوى عرض مشروع القانون سواء من حيث التوقيت أم المحتوى وربما الأهداف.

الأهداف الشخصية والسياسية التى تقف وراء المشروع قد جعلته عارياً.. ويكشف سوءات من يدعمونه ويؤيدونه فعلاً من وراء الكواليس. أنتونى واينر ما هو إلا وسيلة لتمرير تلك المناورة الفاشلة.

على رغم كون (واينر) ديمقراطياً.. فإن الحزب الديموقراطى لم ينجرف وراء نزوته التشريعية.. فى ظل حمى عام الانتخابات الذى تستخدم فيه كل الوسائل والأساليب.. الشريفة.. وغير الشريفة. بل إن الأعضاء الجمهوريين فى مجلس النواب الأمريكى لم يدعموا هذا المشروع كدلالة أخرى على تقدير مكانة مصر وتقييم دورها البنّاء إقليمياً ودولياً.. على أسس موضوعية.

أما أبرز مزاعم (واينر) فهى التى تقول إن مصر لم تتخذ خطوات ملائمة لمكافحة الإرهاب!!. ويبدو أنه - شاب صغير السن لم يتجاوز الأربعين عاماً - لا يدرك تجربة مصر الطويلة والمريرة فى مجال مكافحة الإرهاب.. وربما تناسى أو لم يعلمه من يقفون وراءه كيف قاست مصر الأمرين من الإرهاب.. وكيف آوت واحتضنت الدول الغربية (الحرة) كبار رءوس الإرهاب، ودعمتهم ووفرت لهم (الملاذات) الآمنة! وهو لا يدرك أن أول دعوة لعقد مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب قد صدرت من مصر.. ومن الرئيس مبارك شخصياً.. وقبل سنوات طويلة من أحداث سبتمبر ٢٠٠١.

ومشروع قانون واينر لم يحمل اسم (محاسبة مصر) كما حاول البعض - لأغراض خبيثة ومبرمجة - الترويج والدعاية له.. على غرار مشروع (قانون محاسبة سوريا). فمصر أكبر من أن يحاسبها إنسان - أياً كان - أو دولة مهما بلغ حجمها ووزنها ناهيك عن متطرف صهيونى الهوى والهوية تدفعه أهواؤه ويحركه اللوبى الصهيونى من وراء الكواليس.

وقد حذر أنتونى كورد سمان الخبير فى شئون الشرق الأوسط من تأثير وآثار مثل تلك المشاريع التى يقدمها إلى الكونجرس أناس يستغلون قضية الإرهاب لدعم شعبيتهم خلال عام الانتخابات.. وأضاف كورد سمان أن أغلب تلك المحاولات تنجح

فقط فى تعميق مظاهر سوء الفهم بين الولايات المتحدة والعالم العربى.

أما نيقولاى زلوبين الخبير بمركز الدراسات الدفاعية فى واشنطن فقد أعرب عن تشككه فى المكاسب والمنافع التى يمكن أن يجلبها مثل هذا المشروع.. قائلاً: أعتقد أنه خطأ سياسى فادح.. لم يتم التمعن فى محتواه بشكل دقيق. فهو يحمل محتوى إسرائيلياً واضحاً.. وتدفعه أجندات سياسية.. وليس الحملة ضد الإرهاب.. فالاتهام الرئيسى الذى يحتويه مشروع القانون يتساءل عن مدى جدارة مصر كحليف ضد الإرهاب. وهو اتهام غير واضح.. ويمكن استبدال اسم مصر بأسماء ٩٠ دولة أخرى تقوم الولايات المتحدة بدعمها عسكرياً حالياً. كما أن المقاييس التى يسعى مشروع القانون بواسطتها تقييد الدعم لمصر.. غير واضحة.. وغير عادلة.. كما يؤكد نيقولاى زلوبين.

ولتأكيد ضعف أسس ومنطق مشروع القانون.. يكفى أن نعلم أنه يعتمد على مصادر صهيونية إسرائيلية معادية للعرب.. مثل (اللجنة الأمريكية اليهودية) و(معهد الأبحاث الإعلامية للشرق الأوسط) المعروف اختصاراً باسم MEMRI.. وهو منظمة يديرها مسئول سابق بالمخابرات الإسرائيلية.. المعروف بعدائه للعرب والمسلمين! أى إن (وايزر) فضح نفسه بنفسه!

أما عن مسألة السلاح.. فهذه قضية مختلفة. ولوبى صناعة السلاح يحظى بقوة فى واشنطن وداخل الكونجرس.. ويهمهم الحفاظ على مصالحه وأسواقه وزبائنه!

❑❑❑

بقى أن نعلم أن الشاب أنتونى واينر عضو مجلس النواب الأمريكى هو واحد من أهم ٥٠ شخصية يهودية نافذة ومؤثرة فى الولايات المتحدة. وقد بدأ نشاطه العام عام ١٩٨٥ عندما عمل مساعداً لعضو مجلس النواب - فيما بعد - تشارلز شومر على مدى ست سنوات. واحتل ذات المقعد عام ١٩٩٩ بعد انتخاب (شومر) لمجلس الشيوخ. وهنا نقطة جوهرية يجب الإشارة إليها.. تتعلق بنظام إعداد القادة اليهود الشباب لتولى المناصب الحساسة منذ الصغر.. ويكفى أن نعلم أن (واينر) كان أصغر عضو بمجلس مدينة نيويورك عام ١٩٩١. وهو عضو بعدة لجان بالكونجرس وأسهم فى إصدار العديد من التشريعات المهمة.. على رغم حداثة سنه.. حوالى ٤٠ عاماً!

وعلى رغم عزلة مشروع (تقييد الدعم لمصر) أنتونى واينر داخل الكونجرس.. يجب علينا إدراك أبعاد وأهداف مثل تلك المناورات واحتمالاتها المستقبلية، وأن نقوم بالتحرك المناسب والمخطط الجاد لإفشالها.. فى مهدها.

الفصل الخامس

ديفيد فروم.. المبشر بالحرب !

(إنه) استثناء حاد لميثاق الرقة واللطف بالبيت الأبيض.. وهو حاد الطباع..كثير الأخطاء.. وغير صبور.. سطحى.. سريع الغضب.. دوجماتى (عقائدى) دون بينة أو دليل.. وليس فضوليا.. لذا فإن معلوماته ضعيفة.. وتقليدى التفكير).. بهذه الكلمات وصف ديفيد فروم أحد كتاب خطابات بوش.. رئيسه (السابق)!

ديفيد فروم.. هو (سارق) وليس صانع مصطلح (محور الشر)! سرق من زوجته الأديبة والصحفية.. فأطاحت به تلك السرقة خارج البيت الأبيض!! وديفيد (اليهودى) يشهر سلاح معاداة السامية ضد كل من ينتقده أو يختلف معه.. كاتهام سابق التجهيز!

وديفيد فروم هو أحد صناع الشر البارزين.. ومؤلفاته العديدة - القديمة والجديدة - تعكس وجهة نظر غلاة المحافظين وتؤكد الإيمان بأيديولوجيتهم التى تطالب أمريكا بالهيمنة على

العالم. وآخر إبداعات ماكينة الشر (فروم) - مع شريكه ريتشارد بيرل عضو مجلس سياسات الدفاع بالبنتاجون - هو كتاب (نهاية شر.. كيف يمكن الانتصار فى الحرب على الإرهاب؟).. ومن قبله أصدر ديفيد فروم عدة مؤلفات أبرزها: (الرجل المناسب).. و(كيف وصلنا إلى هنا؟).. و(الحق الميت).. و(ما هو الحق؟).. و(الأغلبية المحافظة الجديد وإعادة صياغة أمريكا)..

أبرز مناصب ديفيد فروم.. عمله كاتبا لخطابات الرئيس بوش من يناير ٢٠٠١ إلى فبراير ٢٠٠٢.. وهو الآن عضو بمعهد (أمريكان انتربرايز).. أحد أهم المراكز الفكرية والبحثية التى تعبر عن الاتجاه اليمينى المحافظ.. إضافة إلى عمل فروم كاتبا وصحفيا بارزا فى العديد من المجلات والصحف والدوريات داخل الولايات المتحدة وخارجها.. ومنها (ناشيونال ريفيو).. و(ناشيونال بوست) الكندية.. و(الديلى تليجراف) البريطانية.. و(نيويورك تايمز).. و(وول ستريت جورنال) الأمريكيتان.

إبداعات الشر !!

أصدر ديفيد فروم أول (إبداعاته) عام ١٩٩٤ بعنوان (الحق الميت).. ووصفه ويليام باكلى آنذاك بأنه أكثر التجارب الأيديولوجية حداثة خلال جيل كامل. ووصفه كاتب آخر فى

النيويورك تايمز بأنه أكثر الكتب التى تعكس أعماق فكر المحافظين الجدد.

وترى رول ستريت جورنال أن ديفيد فروم من أبرز المعلقين السياسيين فى جيله. وعندما نشر كتابه (كيف وصلنا إلى هنا؟) عام ٢٠٠٠.. وصفه ميشيل بارون رئيس تحرير السياسة فى دائرة المعارف (الماتاك) بأنه أكثر الكتب التى توضح كيفية وصول الولايات المتحدة إلى هذا الطريق. وفى عام ٢٠٠١ دخل فروم ضمن أهم مائة شخصية ثقافية مؤثرة فى الولايات المتحدة. وقد ولد فروم فى تورنتو الكندية عام ١٩٦٠.. وتخرج فى جامعة (ييل) عام ١٩٨٢.. وعمل مدرسا للتاريخ فى ذات الجامعة عام ١٩٨٦.. وتخرج فى مدرسة القانون بجامعة هارفارد.. وهناك تولى رئاسة الجمعية الفيدرالية. وهو يعيش الآن فى واشنطن مع زوجته الصحفية والأديبة دانييل كريتندن.. ومع أبنائه الثلاثة.

ويروى (فروم) كيف تمت دعوته إلى البيت الأبيض للقاء مايكل جيرسون - كبير كتاب خطابات بوش.. ويقول: «إن أولى الكلمات التى سمعتها داخل البيت الأبيض هى اللوم والتوبيخ لعدم دراسة الإنجيل». وكانت تلك الكلمات موجهة إلى جيرسون وليس إلى فروم!

ومع ذلك فقد جعلته يرتعد وينتفض! وجاءت بعد شهر من طلب جيرسون انضمام (فروم) إلى هيئة كتاب خطابات بوش. يضيف فروم: إن معرفتى باهتمام البيت الأبيض بدراسة الإنجيل - وإن كان ليس إلزاميًا - أثارت قلقى ومخاوفى باعتبارى (يهوديًا) ولست (مسيحيًا). ويؤكد ديفيد فروم أنه فوجئ بعقد جلسات صباحية لدراسة الإنجيل داخل البيت الأبيض!

وعلى رغم أن زيارته للبيت الأبيض كانت محدودة ومحددة بخمس دقائق فقط.. فقد أتاحت له معرفة سريعة بأحوال ساكنيه.. أبسطها ضرورة الالتزام التام بالمواعيد. يقول (فروم) إنه حاول أن يشرح لـ جيرسون إنه ليس الشخص المناسب لهذه المهمة (كاتب خطابات بوش).. (فلم يكن لدىّ أى ارتباط أو اتصال بحملة بوش أو بعائلته.. ولم أكن قد كتبت خطابًا لأحد.. سوى لنفسى) لقد كنت مؤيدًا لبوش.. باعتدال.. بل إننى لم أكن متحمسًا له.. وأكثر من ذلك كنت أشك فى أنه هو الرجل المناسب لتلك المهمة!

ويواصل فروم حديثه عن رئيسه قائلاً: «كل من قابلوا بوش على انفراد أو ضمن جماعات محدودة زعموا أنهم تأثروا به.. على رغم أنه لا يبدو على الشاشة ملائمًا لمنصب الرئاسة»!.. وركز خصوم بوش على غبائه.. وعرض ديفيد ليترمان عدة عناوين مثيرة تشير إلى رئاسة بوش منها: أمريكا أصبحت رهينة..

ونشرت مجلة Slate ملخصًا (يوميًا) لزلات لسان بوش! واستخدم بول بيجالا المساعد السابق لبوش إحدى زلات بوش وأصدر كتابًا بعنوان: (هل يتعلم أطفالنا؟!).

صفات الرئيس!

ولكن كيف يصف ديفيد فروم الرئيس بوش الذى تعامل معه وعاش معه فى كل المواقف عن قرب وبشكل دقيق؟ ينتقد فروم إدارة بوش قائلاً: (إنها تفتقر إلى العقول المفكرة رفيعة المستوى.. كما أن بوش نفسه يمثل استثناءً حادًا لميثاق الرقة واللطف داخل البيت الأبيض.. فهو لاذع وحاد المزاج.. وليس رقيق الطباع! بل إن الرئيس رجل خطاء.. كثير الخطأ.. وهو غير صبور.. وسريع الغضب.. وسطحى.. وزلق اللسان أحيانًا.. ودوجماتى (ملتزم بالعقيدة) دون دليل أو بينة. وهو ليس فضوليًا أى لا يهتم بالمعرفة.. ونتيجة ذلك فإن معلوماته ضعيفة. ويتسم نمط تفكيره بالتقليدية أكثر مما يجب أن يكون عليه القائد).ولعل هذا التحليل الدقيق لشخصية الرئيس بوش ونمط تفكيره (وليس اتجاهه الفكرى) تعكس مدى سلبيات النظام السياسى الأمريكى الذى يدعى الديمقراطية.. فهذه الديمقراطية لم تؤد إلى اختيار (الأفضل) لمنصب الرئاسة.. بل ربما أدت إلى عكس ذلك تمامًا. بمعنى أن بوش لا يعكس

شخصية المواطن الأمريكى العادى.. ناهيك عن كونه قائد دولة (عظمى).. تقود العالم.. نحو القمة.. أو إلى الهاوية.

وخلال إحدى رحلات فروم العديدة مع الرئيس بوش.. دار حوار بينه وبين إحدى نشيطات الحزب الجمهورى (امرأة فى أوائل الأربعينات من عمرها) لخصت معضلة بوش بعبارتين.. قائلة: «إنه رئيس نصف أمريكا.. وليس رئيس النصف الآخر على الإطلاق»! والخطوط التى قسمت النصفين كانت عرقية بالدرجة الأولى. وعلى رغم خسارة بوش لأصوات السود.. فإنه تفوق على والده فى الفوز بأصوات البيض.

ويصف ديفيد فروم نفسه قائلاً: لست صانعًا أو مؤلفًا للكتب.. بل إننى صحفى. وقد أتيح لى - من خلال عملى مع الرئيس - الاطلاع على واجهة الأحداث فى أكبر قصة ترويها أمريكا! وكل إنسان فى العالم يريد أن يعرف ماذا يجرى هناك فى (البيت الأبيض)، وقد قمت بذلك. وقد وصف مؤرخ إنجليزى الحكومة ذات مرة قائلاً: إنها مغامرة لا تنتهى. وقد تنجح مغامرة بوش.. وهذا أملى.. وسواء نجحت أم فشلت فإنها جديرة بالمشاهدة. إن ثقتى ببوش ليست عميقة. ولكن فضولى لمعرفة الحقيقة والوقائع شديد!!

يواصل فروم حديثه قائلاً: «فى حوارى مع كبير كتاب خطابات بوش.. سألنى: ما هو البديل! لقد خسر المحافظون المعارك السياسية على مدى سنوات طويلة». وجيرسون يعلم أننى صحفى وسوف أنشر مقالات أنتقد فيها بوش. وها هو ذا بوش يريد الحصول على فرصة منى.. فهل أرفض الحصول على فرصة منه؟! لقد قبلت القيام بتلك المغامرة بنفسى. وكنت أطالع وأتابع البيت الأبيض (من الخارج) لفترة طويلة جدًا.. فلِمَ لا أشاهده وأعايشه (من الداخل)؟! إذا كان الأمر كذلك.. فلا ضرر من معرفة الإنجيل بشكل أفضل.

تدوير.. الأفكار!

وإذا كان فروم يقول هذا عن نفسه.. فماذا يقول عنه الآخرون!! يعلق أحد الأمريكيين على كتابه (الرجل المناسب): إنه مجرد كتاب يمينى.. وفروم كاتب غير بارع.. ولا يقدم أفكارًا جديدة.. إنه فقط يعيد (تدوير) المواد التى ينتجها معهد (أمريكان انتربرايز)!. ويرى قارئ آخر أن كتاب فروم (محبط).. فبعد عشر سنوات من قراءتى لمقالات فروم والاستماع إليه عبر الإذاعة.. كنت أتوقع أن يهتم بقضايا مثل الرفاهية الاجتماعية والمهاجرين والمدمنين. ولكن ماذا قدم لنا فروم؟! لم يطرح سوى أفكار غامضة لا معنى لها حول (مسئولية الميزانية)

و(أطفال الغد) و(بناء التحالف). إنه مثل إنسان يكتب رواية فى الخيال السياسى!! وأستطيع أن أؤكد لك أن هناك نحو ٢٠ كاتبًا محافظًا يتنافسون حاليًا للفوز بأموال واهتمام الجماهير الأمريكية. ولتتذكر يا ديفيد أنها السوق الحرة.. ويجب عليك العمل على تطوير أفكارك وأعمالك.. قبل أن تطلب التغيير من الآخرين!

وإذا كان الكثيرون يعتقدون أن ديفيد فروم هو مبتكر مصطلح (محور الشر)، فإن لذلك قصة غريبة وعجيبة! هذه القصة توضح مدى تهافت بعض الأشخاص داخل تلك الإدارة.. كما تكشف طريقة أداء القوة العظمى فى العالم! فهذا المصطلح (محور الشر) من ابتكار زوجة فروم.. الصحفية والأديبة دانييل كريتندن.. وعندما قدمه (فروم) إلى كاتب خطابات الرئيس كان نصه (محور الحق).. فعدّله جيرسون إلى (محور الشر)!! وثار نزاع بين الطرفين حول أحقية ابتكار المصطلح.. الشرير!! إلى أن أرسلت دانييل زوجة فروم خطابًا إليكترونيًا إلى الرئيس بوش تؤكد فيه أنها صاحبة هذا المصطلح! فكانت تلك الرسالة هى التى أطاحت بـ ديفيد فروم خارج محور البيت الأبيض!! وضاع الشر بين محاوره! وربما تبدلت الظروف والأحوال.. وأطاحت بصناع الشر.. ومصطلحه!

تراجع المحافظين الجدد

وتعليقًا على كتابه الأخير (نهاية شر).. يقول الكاتب الأمريكى روبرت دريفوس: إن فروم وبيرل. (وشركاءهما!!) يقدمون لنا قائمة طويلة من الأفعال والواجبات والرغبات التى تعبر عن وجهة نظر المحافظين الجدد. ويبدو أنهم فى عجلة من أمرهم لتنفيذ تلك القائمة. فبعد العراق يطالبون بالإطاحة بنظامى إيران وسوريا وفرض حصار شامل على كوريا الشمالية وتوجيه ضربة استباقية لمنشآتها النووية.. واعتبار فرنسا والسعودية ضمن الأعداء.. وتقسيم أوروبا.. والضغط على الصين.. والانسحاب من الأمم المتحدة.. وسحق الطموحات الفلسطينية. إنهما لا يريدان فقط إنهاء الشر خارج الولايات المتحدة.. بل داخلها أيضًا! وهما لا يقصدان الإرهابيين داخل أمريكا.. بل كل عناصر الشر فى وكالة المخابرات الأمريكية CIA.. ووزارة الخارجية الأمريكية.. ومكتب التحقيقات الفيدرالى FBI.. والبنتاجون.. وفى الحكومة الأمريكية بأسرها! وهما لا يحددان جدولاً زمنيًا لإنجاز تلك القائمة الطويلة.. ويبدو أنهم يخططون لتنفيذها خلال الولاية الثانية للرئيس بوش.. إذا فاز!

يصف دريفوس الكاتب فروم بأنه إنسان مراهق ومبتدئ ذو وجه طفولى.. حظى بشهرته خلال عمله بالبيت الأبيض

لفترة قصيرة.. كما اشتهر مع بيرل وشركاه بالمسئولية الفكرية والتنظيرية عن المستنقع العراقى. إنهم لا يخجلون من السقوط أو إسقاط بلادهم فى هذا المستنقع.. ويرون أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم! ويطالبون بتكرار تجربة العراق مرات.. ومرات!!

وعلى رغم ذلك لا يمكن تجاهل النتائج التى تؤكد انزعاج صناع الشر (فروم وشركاه!) من تراجع شهية الرأى العام الأمريكى فى سياسة خارجية مستأسدة على الضعفاء. بل إن قدرة أمريكا على هضم واستيعاب اتجاه المحافظين الجدد تتراجع تدريجيًا.. وربما أصبحت تلك هى اللحظات الأخيرة التى يقضونها تحت الأضواء! لقد اتضح تراجع عصر المحافظين الجدد.. كما أن تأثير هجمات الحادى عشر من سبتمبر بدأت تتبدد داخل الولايات المتحدة ذاتها.. وبدأت أمريكا تفيق.. وتدرك الحقائق.. وتكتشف الأكاذيب الكبيرة التى تقود العالم إلى الدمار والهلاك.

الأخطر من ذلك.. أن ديفيد فروم وريتشارد بيرل يشهران سلاح معاداة السامية فى وجه كل من ينتقدهما أو يهاجمهما.. ويقولان: (إن أسطورة المحافظين الجدد تقدم للأوروبيين والليبراليين وسيلة للتعبير عن معاداتهم لإسرائيل). وإذا اختلفت مع آراء فروم وبيرل. إذن فأنت تكره اليهود! بل إن

ديفيد بروكر ذهب إلى أبعد من ذلك فى النيويورك تايمز مؤخرًا.. قائلاً: «عندما يستخدم النقاد مصطلح المحافظين الجدد.. فإن الجدد تعنى (اليهود). ويزعم فروم وبيرل أن الصحفيين فى أنحاء العالم يسألونهما: هل الحرب على الإرهاب.. مؤامرة صهيونية»؟!

وعندما تقرأ فكر المحافظين الجدد.. تكتشف أنهم يقولون: «إن المحافظين الجدد ليسوا يهودًا كلهم»!

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه بقوة هو: لماذا نرى يهودًا كثيرين ضمن المحافظين الجدد؟!! ويزعم فروم - وشريكه بيرل - أنهما يدافعان عن العالم المتحضر!! وقد لا يستمع العالم المتحضر إليهما!! ولكن المشكلة تكمن فى أن بوش ينصت إليهما باهتمام شديد.. وينعكس تأثيرهما السلبى الخطير على العالم بأسره.. من خلاله!

❑❑❑

الفصل السادس

إليوت كوهين.. منظّر الحرب العالمية الرابعة

«الإسلام ذاته هو عدو لأمريكا.. والحضارة الإسلامية والعقيدة الإسلامية لا تتسم بالتسامح.. بل تتناقض مع القيم الغربية.. وهى عقيدة توسعية عنيفة».. على رغم قسوة وفجاجة وخطأ هذه العبارات فإنها تفضح هذا اليهودى الصهيونى (إليوت كوهين).. أحد صناع الشر فى الولايات المتحدة.. والذى يلعب دورا خطيرا فى صياغة أفكار واستراتيجيات الإدارة الأمريكية.. بل إنه أهم المفكرين تأثيرا ونفوذا ضمن تيار اليمين المحافظ الجديد.

هذا الكوهين هو المبشر بالحرب العالمية (الرابعة) أو ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب.. ويؤكد أن الولايات المتحدة سوف تتورط فى المزيد من الصراعات، بما فى ذلك السياسات المحلية للدول؟!

ولعل أخطر أهداف صناع الشر من المحافظين الجدد الذين يحكمون ويتحكمون فى الإدارة الأمريكية إلى حين.. لعل أخطر أهدافهم هو تحويل الحرب ضد الإرهاب إلى حرب ضد الحضارة

الإسلامية، وحرب ضد العقيدة الإسلامية.. بل إن هؤلاء - وعلى رأسهم إليوت كوهين - انتقد بوش لمحاولته نفى هذا الاتجاه (ولو ظاهريا)، خاصة حينما التقى الرئيس الأمريكى بالجالية الإسلامية فى أعقاب هجمات الحادى عشر من سبتمبر، وقوله إن هذه الحرب ضد الإرهاب.. وليست موجهة ضد الإسلام.

ولا يتورع إليوت كوهين الإعلان صراحة عن أن الإسلام ذاته هو عدو للولايات المتحدة، وأن الحضارة الإسلامية لا تتسم بالتسامح.. بل تعادى وتناقض القيم الغربية، زاعما أنها حضارة توسعية عنيفة!

ومن الواضح أن كوهين اليهودى يعرف تماما طبيعة الحضارة الإسلامية.. ويعرف تماما من هم (التوسعيون)، وأحدثهم الولايات المتحدة ذاتها.. ولنقل إدارة اليمين المحافظ الجديد التى تسيطر على البيت الأبيض.. وهى لا تعكس توجهات ورؤى نصف الأمريكيين على الأقل.. فالحملات الاستعمارية التى امتدت لقرون طويلة قام بها الغربيون، ومازالوا.. وإسرائيل التى يدافع عنها كوهين بكل الجهد والاجتهاد هى نموذج آخر..نموذج مثالى للتوسع والاستعمار.. ولسنا بحاجة إلى تعديد وسرد حملاتها التوسعية الاستيطانية الاستعمارية داخل وخارج فلسطين، ولو كان الإسلام يمثل حضارة توسعية لزال

وتراجع بمجرد تراجع الامبراطورية الإسلامية، ولكنه يمثل اليوم أسرع الأديان انتشارا.. بلا قوة وبلا عنف، ولكن بقوة الإيمان والتسامح وبتماسك وعمق العقيدة التى يقدمها للعالم بأسره.. وإذا حدثت أعمال عنف من بعض أبنائه فهى رد فعل على التجاوزات الإسرائيلية والاحتلال الأمريكى.. فهى ليست أفعالا بلا مبرر.

كشف الأقنعة :

يزعم إليوت كوهين أن الإسلام معاد للغرب حتى قبل وجود إسرائيل.. لذا فلا دخل للصراع العربى الإسرائيلى بأزمة الإسلام مع الغرب، أى إنه يحاول الفصل فى الصراع بين العرب وإسرائيل وبين أسباب تلك الأزمة الأشمل والأعمق مع الغرب ومن ثم تبرير احتلال إسرائيل وعدوانها المستمر على العرب.

وهى دعوة خبيثة تشبه محاولة الفصل بين تطورات المنطقة والاحتلالين الأمريكى والإسرائيلى لفلسطين والعراق.. وبين دعوات الإصلاح والمشاريع المعدة مسبقا لإعادة صياغة المنطقة.. منذ وعد بلفور.. وحتى وعد بوش! بمعنى آخر إنهم يريدون منا أن نقبل بالاحتلال أو الاحتلالات وتنفيذ روشتة الإصلاح التى يضعها صناع الشر فى أمريكا وأوروبا.. الأخطر من ذلك هناك شريحة من البروتستانت الأمريكيين تعتقد وتزعم أن

الإسلام هو (شر) بذاته.. وهى ذاتها رؤية أحد رجال الدين الذين حضروا حفل تنصيب بوش بالبيت الأبيض عام ٢٠٠١.

وإليوت كوهين عضو لجنة سياسة الدفاع بالبنتاجون التى تضم العديد من الصقور صناع الشر الذين ألقوا بظلالهم الكثيفة السوداء على العالم بأسره.. وليس على أمريكا فقط.. ولم يشرح إليوت كوهين الاتهامات التى ساقها ضد الإسلام.. عقيدة.. وحضارة.. وبشرا.

هؤلاء البشر الذين يقترب تعدادهم من ١,٥ مليار نسمة، أى ثانى أكبر عقيدة فى العالم بعد المسيحية.. وقد وقع كوهين وأمثاله فى فخ صامويل هنتنجتون الداعى إلى صدام الحضارات.. والذى يقول: «إن الحضارات تمثل ظاهرة ثقافية يمكن التعامل معها، كما لو كانت كيانات سياسية مسئولة». ليس بأفعالهم ومعايير وجودهم وما هم عليه فعلا ولكن لمجرد كونهم مسلمين.. وقد انطلقت أمريكا فى حربها ضد الإرهاب وفق تلك النظرية وانطلاقا من الرؤى الخطيرة والشريرة لأمثال هؤلاء المفكرين، قامت واشنطن بغزو وتدمير واحتلال العراق بناء على أخطاء حكومة صدام.. بل بناء على مجرد نوايا هذا النظام.. وكما قال كولن باول: إن صداماً ينوى امتلاك أسلحة الدمار الشامل!! فتحمل الشعب العراقى..

بل الأمة العربية والإسلامية والعالم بأسره آثار تلك الحرب المدمرة وذات المنطق يمكن تطبيقه على الأمريكيين.. وعلى كل شعوب الأرض: فهل تتحمل تلك الشعوب جرائم وخطايا الحكام؟.. وهل يعكس بوش وأركان إدارته قيم ومبادئ العقيدة المسيحية والحضارة الغربية فعلا من خلال تلك الحرب المدمرة؟.. ولكن المشكلة أن الشعوب هى التى تتحمل المسئولية النهائية لأخطاء حكوماتها.. بما فيها الشعب الأمريكى ذاته الذى يعارض تلك السياسات بشكل فردى.. ولكنه لا يملك الإرادة أو القرار السياسى.

ومع ذلك.. فلا يستحق المسلمون ولا الأمريكيون أن يموتوا أو يقتلوا لمجرد كونهم نتاج حضارة معينة، أيا كانت تلك الحضارة مقبولة أو مرفوضة.. بمعنى آخر فإن هذا النمط (الفكرى) الذى يقدمه إليوت كوهين وأمثاله يمثل قمة الاستبداد والدكتاتورية.. لأنك تعاقب أمة بأسرها وحضارة بأكملها لمجرد خطأ حفنة ضئيلة منها، وربما كانت المخططات الخفية المسبقة لها أهداف أخرى غير معلنة تشمل حرب السيطرة على النفط وعلى الاقتصاد العالمى.. ومن ثم السيطرة والهيمنة على العالم بأسره.. إنه نوع من التفكير والتنظير العنصرى المقيت.. فالعدو ليس عدوا بأفعاله، ولكنه عدو لمجرد

هويته ووجوده كمسلم، فالمسلم - كما يرى كوهين - رجلا كان أو امرأة أو طفلا، هو عدو لمجرد انتمائه الدينى والثقافى.

ولعل إليوت كوهين اليهودى يذكر - أو يتذكر - أنه قبل ستة عقود أو يزيد شن الألمان النازيون الحرب على اليهود لمجرد كونهم يهوداً.. كانوا يطلقون على اليهود العدو الأدنى جنسا وعرقا من الألمان.. وهذه التجربة المريرة التى عاشها اليهود تنطلق من ذات الرؤية العنصرية البغيضة، ولا تختلف كثيرا من الناحية الفكرية والتنظيرية عما يتعرض له المسلمون الآن، فقد اعتبر الألمان أن كل اليهود أعداء لهم لمجرد كونهم يهودا.. أعداء تجب إزالتهم ومحوهم.. واعتبروا اليهود أعداء طبقيين، أى إنهم من طبقة ارستقراطية ثرية.. إنه منطق التفكير الاستبدادى الذى يذكرنا بحروب الإبادة الجماعية التى شهدها القرن العشرون وغيره من القرون، وإذا كان الألمان قد فشلوا فى إبادة كل اليهود - على ضآلة عددهم - فمن المستحيل أن يباد كل المسلمين، لذا فإن الحل الأمثل هو فى التغيير وفرض الإصلاح وفق الاستراتيجية الغربية.. سابقة التجهيز.. بل إن كوهين أبرز المنظرين والمفكرين داخل تيار اليمين المحافظ فى الولايات المتحدة - يحاول تحميل الثقافة والحضارة والعقيدة مسئولية أخطاء الكيانات السياسية.. سواء كانت حكومات أم قادة أم أفرادا.

وهذا خطأ تاريخى فادح بكل المقاييس.. فإذا تحولت النزاعات والصراعات إلى حروب ثقافية ودينية وحضارية فلن تكون لها حلول.. ولا يمكن التفاوض حولها.. بل ربما تظل عقدا مزمنة ومستعصية.. ودائما ولو افترضنا- جدلا- بقاء المسلم عدوا للغرب لمجرد كونه مسلما.. وأن يظل الغربى عدوا للمسلم لمجرد كونه غربيا.. إذا ظل الحال هكذا- وهو مستحيل - فإن الجميع خاسرون، ولن يستطيع أى منهم السيطرة على مستقبله والتفرغ للبناء والتعمير، وليس للحرب والتدمير.

والواقع يشير إلى عكس ذلك فعلا.. فهذه الاجتهادات الفكرية التى يقدمها كوهين وأمثاله ليست صحيحة وليست حقيقية.. فالصراع الدائر حاليا يتمحور على سياسات الغرب المنحازة ضد العرب والمسلمين بصفة عامة.. وسياسات واشنطن - وتحديدا الإدارة الأمريكية - المعادية للعرب والمتآمرة لصالح إسرائيل وعدوانها واحتلالها.. بل إن تلك الإدارة انزلقت إلى ذات المستنقع.. مستنقع الاحتلال والعدوان الذى سبقتها إليه إسرائيل.

الحرب العالمية الرابعة

أبرز إبداعات إحدى ماكينات الشر إليوت كوهين تتمثل فى دعوته إلى الحرب العالمية الرابعة!!

يقول كوهين: «لقد ذكرت هذا المصطلح لأول مرة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ فى صحيفة وول ستريت جورنال.. وهذه الحرب العالمية الرابعة هى الحرب ضد الإرهاب».. مع العلم أنها قد بدأت قبل أحداث سبتمبر فعلا (وهو هنا يفضح المخطط الاستراتيجى الذى تم الإعداد له جيدا ومسبقا لهذه السلسلة من الحروب التى بدأت بأفغانستان ثم العراق.. ولا نعلم - ربما لا يعلم هو أيضا- نهايتها).

أما الحرب العالمية الثالثة.. فهى الحرب الباردة التى استمرت لحقبة طويلة.. وبشكل غير عنيف ولعبت فيها الأساليب الأخرى - غير القوة العسكرية - الدور الأول والأكبر.

يرى كوهين أن واشنطن تواجه إرهابا عالميا.. والجيش الأمريكى يواجه مشكلة أخرى تتمثل فى تجربته المرعبة فى فيتنام.. لذا فإن أفراده وقياداته حريصة على ألا تنزلق نحو هاوية حرب العصابات.. وعلى رغم بعض التجارب المتازة فى التعامل مع هذه النوعية من الحروب.. وعلى رغم خبرات القوات الأمريكية فى مجال حفظ السلام، فإن هناك اتجاها يرى بأن تلك ليست مهمتهم وأعتقد بأن هذا الاتجاه بدأ يتغير.. فالجنرالات والضباط الذين عادوا من العراق مؤخرا لديهم رؤية مختلفة تماما، لما يجب أن يقوم به الجيش الأمريكى، وقد

لا يقوم الجيش الأمريكى بمثل هذه الحرب المدمرة (مثلما حدث فى العراق) لفترة من الوقت.

ويبدو أن كوهين يشير بشكل غير مباشر إلى مدى عمق المستنقع الذى غاصت فيه القوات الأمريكية.. وإلى مدى المعاناة.. بل الخسائر الجسيمة ماديا وبشريا التى تواجهها القوات الأمريكية على أرض العراق، وهو اعتراف غير مباشر بخطأ وخطورة المنطلقات الفكرية التى قامت عليها سلسلة الحروب الأمريكية الأخيرة التى لن تتكرر لفترة من الوقت، كما يقول كوهين. فهؤلاء المفكرون مارسوا لعبة فى منتهى الخطورة.. مزجت بين المصالح والعقائد والحضارات والأهواء.. ولعبت بكل هذه المكونات دون إدراك عواقب اللعب بالنار.

يرى كوهين أن امتلاك الولايات المتحدة للقوة العسكرية التقليدية الهائلة يمثل عامل ردع.. ولكن انتشار القوات الأمريكية فيما يزيد على ٧٠ دولة قد يضعف تواجدها وتأثيرها.. ويقول: إن قوتنا تشمل الجيش والاقتصاد والثقافة.. إلخ.. أى القوة بمفهومها الشامل، وسوف نتورط فى مزيد من الصراعات فى كل مكان بالعالم.. سواء ذهبنا إليه أم لم نذهب.. وهذا أحد الدروس التى خرجنا بها من حرب يوغوسلافيا.. ولا يوجد مكان فى العالم نستطيع تجنب

التورط الكامل فى سياساته المحلية، لذا فإننا متواجدون فى كل مكان بالعالم، وفيما يتعلق بالعراق، فالقوات البرية تنتشر على نطاق واسع هناك.. بينما عادت القوات الجوية إلى طبيعتها حيث لم تعد تطير فوق مناطق حظر الطيران!! (فالعراق كله بلا طيران ومنزوع السلاح تقريبا).. وقد عادت أغلب قوات المارينز بعد انتهاء عملها الرئيسى فى العراق، ولكن القوات البرية هى التى تتحمل المزيد من الضغوط فى العراق.

ويرى إليوت كوهين أنه يجب الاهتمام بتطورين كبيرين شهدهما العالم خلال العقود الأخيرة.. الأول هو دخول عصر المعلومات بتأثيراته الضخمة على العقول المدنية.. وتأثيراته الهائلة أيضا على نظم العمل والتسليح العسكرى وعلى نظم الاتصالات وتبادل المعلومات.. والثانى - كما يرى كوهين - يتمثل فى استمرار الصراع مع نهايات الحرب الباردة، فقد نشأت مهام مختلفة للقوات الأمريكية نتيجة اختلاف الدور الأمريكى على مسرح السياسة الدولية، ولعل انتشار قواعدنا العسكرية فى الخارج كان يتناسب مع عصر الحرب الباردة.. وليس مع تطورات المرحلة الجديدة التى تشهدها بلادنا.

الأخطر نفوذا

بقى أن نعرف ونتعرف - عن قرب - على شخصية وهوية إليوت كوهين، فهو عضو لجنة سياسات الدفاع بالبنتاجون التى تضم الكثير من الصقور وصناع الشر.. بمن فيهم ريتشارد بيرل الذى استقال منها مؤخرا اعترافا بفشل مخططاته.. بل مخططات اليمين المحافظ بأسره وحتى يتجنب الرئيس بوش آثار مرافقته خلال الحملة الانتخابية.

أيضا.. فإن إليوت كوهين هو مدير مدرسة جون جوبكنز للدراسات الدولية.. وهو باحث متخصص فى الشئون العسكرية.. وهذه المدرسة هى SAIS تمثل قاعدة لعدد من المحافظين الجدد بمن فيهم بول وولفوويتز، وعالم السياسة فرانسيس فوكوياما، كما يترأس كوهين مركز SAIS للدراسات الاستراتيجية الذى تأسس العام الماضى بمساعدة شخصية من رجل إعلامى ومصرفى بارز وهو أحد مؤسسى مشروع القرن الأمريكى الجديد.. حيث أسهم فى الكثير من أبحاثه وفى تقرير (إعادة بناء الدفاعات الأمريكية)، كما أنه عضو بلجنة ما يسمى (تحرير العراق)!

وكوهين عضو بارز بمعهد (أمريكا انتربرايز) أحد المعاقل الرئيسية لمفكرى اليمين المحافظ، ويرى أحد المراقبين أن

كوهين هو أكثر الأكاديميين المحافظين الجدد نفوذا وتأثيرا، ومع ذلك فإنه يحظى هو وزملاؤه بالكثير من النقد العنيف بعد أن قاد هذا التيار الولايات المتحدة والعالم إلى العديد من الصراعات والنزاعات والحروب، وهو مؤلف العديد من الكتب (تفوق الهيمنة) عام ٢٠٠٢، وهو الكتاب الذى درسه جورج بوش و(ذاكره) استعدادا للحرب ضد العراق، إضافة إلى كتب (المحن العسكرية)، و(تشريح الفشل فى الحرب) و(مواطنون وجنود) و(فدائيون وساسة) و (ثورة المعدات الحربية) و(ثورة إسرائيل الأمنية) الذى يعكس ويفضح انتماءه الصهيونى.. و(السياسة الدفاعية للولايات المتحدة)، بالمشاركة مع كولن باول ولورانس كورب.

❑❑❑

وقد لا يبدو أمثال إليوت كوهين على مسرح الأحداث، ولكنهم يحظون بتأثير كبير وخطير.. من وراء الكواليس فهم الذين يصنعون الاستراتيجيات ويصوغون الأفكار التى تحرك من نراهم أمامنا على خشبة المسرح!

الفصل السابع

خليل زاد: الصقر الأفغانى !

إنه الأفغانى السنى المسلم الوحيد الذى حظى بتلك المكانة داخل إدارة بوش.. بل وداخل قبيلة المحافظين المتشددين الجدد فى الولايات المتحدة.. إنه زلماى خليل زاد مبعوث بوش لأفغانستان والعراق - وغيرها من المهام - الذى يرى أن الأمن هو الأهم..وأن الحلول العسكرية هى الخيار الأول.. وليست الملاذ الأخير!

خليل زاد.. رجل المتناقضات.. الذى دعم المجاهدين.. وحاربهم! ودعم طالبان وتفاوض معها.. ثم أزاحها من السلطة! ووصل إلى هذه المكانة على أسنة الرماح البترولية، وولائه المطلق للهيمنة الأمريكية على العالم!

وفى بحث أعده صقور الإدارة الأمريكية الحالية لبنيامين نتنياهو عام ١٩٩٦ .. جاء فيه (أن إضعاف واحتواء وصد سوريا.. ناهيك عن الإطاحة بنظام صدام هدف لإسرائيل وحق من حقوقها).. هكذا قال دوجلاس فيث وكيل وزارة الدفاع

الأمريكية لشئون البنتاجون.. وريتشارد بيرل عضو المجلس الاستشارى بذات الوزارة والمستقيل مؤخرا. هؤلاء الصقور المتطرفون أطلقوا العنان لأفكارهم الشريرة تحت قيادة (البرت وولستر) عالم الرياضيات بجامعة شيكاغو.. المسئول الرئيسى عن صياغة توجهات وسياسات البنتاجون الاستراتيجية والنووية خلال فترة الحرب الباردة.

و (وولستر) هو معلم ومرب ومدرب الكثير من المحافظين الجدد الذين يسيطرون على إدارة بوش الحالية، بمن فيهم زلماى خليل زاد الذى نتناول سيرته وأفكاره بالتحليل والدراسة هنا.

الصقر (الأفغانى):

وخليل زاد هو (الأفغانى المسلم السنى البشتونى) الوحيد ضمن تيار اليمين المحافظ المتطرف الجديد. وأحد جوانب تفوقه.. هو عمله فى السر! فمن المفترض أن يعرفه الناس عن قرب.. ولكنهم لا يعلمون بمجرد وجوده أحيانا.. إنه لاعب خطير آخر وراء الكواليس. وفى إعلان تعيينه فى مهمة خاصة بالعراق.. قال البيت الأبيض إن خليل زاد دوره محورى فى الاتصالات والتنسيق بين المعارضة العراقية والحكومة الأمريكية - قبل سقوط نظام صدام - وللإعداد للمرحلة التالية للحكم فى بغداد.

ومؤهلات خليل زاد تشمل المزايدة على الإطاحة بنظام صدام منذ عام ١٩٨٠ .. كما أن ملفه الزاخر يضم النجاح فى زرع قرضاى أفغانستان بعد تعيينه مبعوثاً خاصاً لها عام ٢٠٠١.. ومؤهلات خليل زاد وآراؤه الفكرية المتشددة جعلته مهيأ للانضمام إلى قبيلة المحافظين الجدد التى تقود الحرب ضد الإرهاب. وتبشر بها.. حتى قبل أحداث ١١ سبتمبر، بل إنها هى التى تقود الحملات ضد العرب والمسلمين فى أمريكا والعالم.

يقول أحد المقربين السابقين من خليل زاد: (إن لديه رؤية ضيقة للشرق الأوسط وجنوب آسيا.. فهو يعتقد بأن الأمن هو أهم شىء..ويميل إلى الحلول العسكرية باعتبارها الخيار الأول.. وليست الملاذ الأخير) وهذه الآراء المتطرفة وتلك الرؤية الأحادية لم يتشربها زلماى خليل زاد أثناء دراسته بمدرسة (الليسيه) فى كابول، حيث عمل والده مستشارًا للملك الأفغانى السابق زاهر شاه.. كما لم يتشكل هذا الاتجاه لديه فى الجامعة الأمريكية ببيروت، حيث تعلم أوائل السبعينات، بل تكونت هذه التوجهات المتطرفة لخليل زاد فى جامعة شيكاغو.. حيث تربى وترعرع فكريا تحت إشراف البروفيسور البرت وولستر.

وبعد حصوله على الدكتوراه عام ١٩٧٩ تعلم (زاد) العلوم السياسية فى جامعة كولومبيا الأمريكية، حيث عمل مع

زبجينيو بريجنسكى مهندس سياسة دعم المجاهدين الأفغان فى مواجهة الغزو السوفيتى لأفغانستان أثناء إدارة كارتر.. وفى عام ١٩٨٤ عمل خليل زاد لمدة عام مع بول وولفوويتز بوزارة الخارجية الأمريكية.. وتفرغ لهذه المهمة حتى إدارة ريجان.

وخلال إدارة بوش الأب أصبح مساعدا لنائب وزير الدفاع للسياسة.. ليعود مرة أخرى للعمل مع وولفوويتز مهندس الحرب ضد العراق. وانضم خليل زاد لصناع السياسات الذين نجحوا فى الضغط على الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان لإمداد المجاهدين الأفغان بالمال والسلاح.. وهى نقطة انطلاق الإرهاب. الذى يحاربونه الآن.. فى كل مكان.. أى إن هؤلاء (المتطرفين) هم الذين ربوا ورعوا (المتطرفين) على الطرف الآخر.. وأطلقوهم من أفغانستان.. ليرتدوا إليهم فى كل مكان.

وخلال حرب الخليج عام ١٩٩٠ - ١٩٩١ ارتبط خليل زاد بـ ديك تشينى الذى تولى وزارة الدفاع فيما بعد.. ونائب الرئيس بوش الآن.. وظل مقربا منه وعلى صلة وثيقة به حتى خلال إدارة كلينتون.. وحينها عمل باحثاً سياسياً بمؤسسة (RAND) إحدى أهم مراكز الأبحاث اليمينية التى تقدم دراساتها واستشاراتها للبنتاجون.. ومقرها ولاية كاليفورنيا.. وفى (راند) تولى (زاد) مهمة إدارة الاستراتيجية والنظم لمشروع القوة الجوية..

كما أسس مركز دراسات الشرق الأوسط الكبير.. وصحيح أنه ليس المبشر الأول به.. ولكنه يؤكد مدى إعداد واستعداد الإدارة الأمريكية مبكراً لنشره وتطبيقه.. بينما كنا نغض الطرف عنه وربما لا نعلم به!!

وفى عام ١٩٩٨ .. وقع خليل زاد-مع صفوة من الصقور اليمينية الحاكمين الآن-على خطاب مفتوح يدعو الرئيس كلينتون لتطبيق استراتيجية سياسية وعسكرية شاملة للإطاحة بنظام صدام-هذا الخطاب أصدرته (لجنة السلام والأمن فى الخليج).. إحدى إفرازات (مشروع القرن الأمريكى الجديد) الذى انطلق عام ١٩٩١ هذا المشروع الذى يضم أساساً وغالباً اليهود الصهاينة والمسيحيين المتشددين دعاة شن الحرب على الإرهاب.. وأصبح الإرهابى شارون هو «البوصلة» والمؤشر الدقيق والمبكر لسياسة الإدارة الحالية. وكما يقول أحد المقربين من خليل زاد إنه يحظى بعلاقات وثيقة مع (وولفويتز وبيرل) والثلاثة يدعم بعضهم بعضاً.

هناك أوراق اعتماد ومؤهلات أخرى لخليل زاد.. ربما زادت أهمية عن مؤهلاته السابقة. إنها المؤهلات البترولية.. مثلما هو الحال مع كثير من أعضاء إدارة بوش الحالية.. حيث عمل كل من نائب الرئيس ديك تشينى.. وكوندليزا رايس مستشارة الأمن

القومى فى مجلس مديرى شركة شيفرون البترولية الشهيرة. ومثل ريتشارد ارميتاج عمل خليل زاد مع شركة UNOCAL البترولية المعروفة.. والتى كانت تتنافس للحصول على موافقة طالبان لإنشاء خط أنابيب لنقل النفط والغاز عبر أفغانستان بتكلفة بليونى دولار.

وتعاون خليل زاد مع شركة أخرى للطاقة.. (كمبريدج إنرجى أسوسيشن) وفى عام ١٩٩٧ شارك خليل زاد شخصيا ومباشرة بحكم عمله ومصالحه البترولية فى مفاوضات UNOCAL مع حركة طالبان التى كانت تسيطر على معظم أفغانستان. والأهم من ذلك.. أن خليل زاد طالب إدارة الرئيس كلينتون آنذاك باتخاذ موقف أكثر ليونة ومرونة من طالبان!!

وتعاون زاد مع UNOCAL لإنشاء خط النفط والغاز وشكل مجموعة ضغط للدفع نحو تنفيذ المشروع، ودافع عن طالبان فى مقال نشره بصحيفة واشنطن بوست عام ١٩٩٦ .. قائلا: «إن طالبان لا تمارس هذا النمط الأصولى المعادى للولايات المتحدة.. كما تفعل إيران.. ويجب أن نعمل على توفير الاعتراف والمساعدة الإنسانية والترويج لعملية الإعمار والإصلاح فى أفغانستان. ويجب على الولايات المتحدة القيام بتلك المهمة»!

هكذا نرى كل التناقضات معًا فى شخصية هذا الرجل. فقد دعا ودعم المجاهدين ضد الغزو السوفيتى.. لينطلق الإرهاب.. من عقاله.. أو يطلقونه.. ثم يحاربونه! وهو أيضا كان مؤيدًا قوياً لطالبان ثم أطاح بها.. وغرس (قرضاى) محلها.. وبديلاً لها. ويجب أن نعترف ونعرف أنه يمثل نموذجا للسياسة الأمريكية - مع كل الإدارات - التى تدافع عن مصالحها وتنفذ أهدافها بالتعاون مع الجميع.. الأعداء والأصدقاء.. على حد سواء. إنها تلعب بكل الأوراق من أجل تحقيق استراتيجياتها.. وهكذا فعل (الأفغانى) خليل زاد .. مع وضد أفغانستان.. ولكنه كان دائماً مع الولايات المتحدة.. بل ومؤيدًا لتيار المتشددين داخلها.

وفى عام ١٩٩٨ .. تبين تورط طالبان فى الاعتداءات التى وقعت على السفارتين الأمريكيتين فى نيروبى ودار السلام.. وقطعت UNOCAL اتصالاتها مع طالبان. وغير خليل زاد من لغته ولهجته تماماً.. وكتب مقالاً فى (واشنطن كوارترلى) عام ٢٠٠٠ بعنوان (أفغانستان: تضامن دولة مارقة).. عرض فيها لاتباع استراتيجية من ستة محاور لتغيير الأوضاع فى أفغانستان.. على النحو التالى:

- تغيير ميزان القوى فى أفغانستان من خلال دعم القوى المناهضة لطالبان.

● معارضة أيديولوجية طالبان من خلال دعم إذاعة صوت أمريكا.

● ممارسة الضغوط على باكستان لسحب دعمها لطالبان.

● مساعدة ضحايا طالبان ودعم مواقفهم.

● دعم معارضى طالبان بتمويل معارضيها فى الخارج.

● التركيز على زيادة الاهتمام بالقضية الأفغانية داخل الولايات المتحدة، والتركيز على الصراع مع طالبان فى إطار الاستراتيجية الأمريكية.

وبالفعل تم تنفيذ تلك الخطة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ .

استثمار العلاقات:

ومن الواضح أن خليل زاد استثمر علاقاته القوية والسابقة مع نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى.. وتوثقت تلك العلاقات خلال فترة حكم كلينتون.. مما أدى إلى اختياره لرئاسة الفريق الانتقالى للبنتاجون أثناء نقل السلطة إلى إدارة بوش. ويجب أن نلاحظ أمرًا مهماً.. يتمثل فى عدم تعيين زاد فى أية وظيفة تتطلب موافقة الكونجرس. لأن هذا قد يعرض الإدارة الأمريكية لأسئلة محرجة!

وقد حاول خليل زاد (مجاهدًا) تجنب الأسئلة والمواقف المحرجة والمثيرة للجدل حول علاقاته النفطية خاصة مع شركة UNOCAL وآرائه المتناقضة والمتغيرة من طالبان.. عند تعيينه بمجلس الأمن القومى فى وظيفة لا تتطلب موافقة الكونجرس! وفى مايو ٢٠٠١ عينه بوش مساعدًا خاصاً له، ومسئولاً رفيعاً عن شئون الخليج وجنوب شرق آسيا.

ويبدو أن (زاد) يهوى العمل وراء الكواليس.. وبعيدا عن الأضواء! وتجلى ذلك عندما تولى مهمته مبعوثا خاصا لأفغانستان ثم للتعاون مع المعارضة العراقية. وتولى رئاسة مؤتمر معهد (سياسة الشرق الأدنى) الموالى لإسرائيل.. ومقره واشنطن.. وتولى رئاسة هذا المؤتمر بالاشتراك مع رئيس الأركان ووزير الدفاع الحالى شاؤول موفاز وخلال ذاك المؤتمر.. أعلن خليل زاد تطلعه لأن يشهد عهد ما بعد صدام حكومة موسعة تنبذ الإرهاب. وتسمح بمشاركة كل المجموعات العرقية والدينية، وأن تتخلى عن أسلحة الدمار الشامل وأن تقدم النموذج للسلام.. مشيرا إلى أن أمريكا تدخل العراق محررة.. وليست غازية!! ويرى أناتول ليفين الباحث والمحلل السياسى بمؤسسة كارنيجى للسلام (أنه لو قدر لخليل زاد الاستمرار فى مجال الأعمال الخاصة بدلا من العمل الحكومى.. لسقط منذ زمن بعيد)!!

بقى أن نعلم أن خليل زاد عمره ٥٣ عاماً وهو من مواليد مزار الشريف شمال أفغانستان.. ومنها تحولت عائلته إلى كابول حيث درس الإنجليزية. وكما يقول توماس جوتييرى مدير مركز الدراسات الأفغانية بجامعة نبراسكا - والذى تموله شركة UNOCAL البترولية - فإن عائلة زاد كانت ضمن الصفوة الأفغانية المثقفة آنذاك. والتقى جوتييرى بالشاب زلماى خليل زاد ضمن برنامج (التبادل الطلابى) الذى تنظمه (لجنة خدمة أصدقاء أمريكا) وبعد مسيرته الدراسية تعرف على (شيريل بينارد) النمساوية وتزوجها.. وهى تكتب القصص وتؤلف الكتب.. بالمشاركة مع زوجها!

وخليل زاد الذى يطلع على بواطن الأمور فى واشنطن ويحظى بصلات قوية مع مسئولى الإدارة الأمريكية.. ومع قبيلة المحافظين الجدد.. يحظى فى ذات الوقت بصلات قوية مع أشد الجامعات الإسلامية تطرفاً فى جنوب آسيا. ويرى الخبراء والمحللون أن سبب تولى (زاد) لتلك المهام والأدوار هو النفط والمصالح البترولية والشخصية.. والأهم من ذلك كله تشربه وارتباطه بالاستراتيجية الأمريكية، ويكفى أن نعلم أن شركة UNOCAL النفطية الأمريكية تعرضت لانتقادات عنيفة ومستمرة لأنشطتها فى دول تناهض الكثير من المبادئ التى تزعم الإدارات الأمريكية الالتزام بها.. وتحتفظ تلك الشركة

بصلات قوية مع وزارة الخارجية وأجهزة المخابرات الأمريكية وفى عام ١٩٩٧ .. انضم زلماى لحفل استقبال نظمته UNOCAL لوفد طالبان فى ولاية تكساس.. الولاية التى صنعت بوش.. وحكمها قبل توليه الرئاسة!

ورجل المتناقضات يحظى بانتقادات أمريكية.. وأفغانية أيضا. وصرح العديد من الأفغان أنهم اختلفوا مع إدارة بوش على تعيينه مبعوثاً لأفغانستان. وقالوا لصحيفة واشنطن بوست: «على رغم أن كثيرًا من الأفغان يرون خليل زاد قوة استقرار فى المنطقة.. فإن هناك آخرين - حتى داخل نظام قرضاى الذى زرعه خليل زاد - يعتبرونه عنصرًا يرتبط بالسياسات الأمريكية السابقة.. المثيرة للجدل والمتناقضات».

وزلماى خليل زاد المسلم السنى العضو بالحزب الجمهورى لديه الكثير من المؤلفات - المشتركة والمنفردة - من بينها: (التقييم الاستراتيجى: الدور المتغير للمعلومات فى الحروب) وكتاب (دلالات النهاية المحتملة للصراع العربى الإسرائيلى على أمن الخليج).. وفى هذا الكتاب يحدد زلماى - مع آخرين - منطقة الصراع فى الخليج والتدخل المحتمل للدول الصديقة.. مع عرض مقارنة تحليلية للقوات والقواعد العسكرية فى دول المنطقة. وكتاب آخر بعنوان (من الاحتواء إلى القيادة

العالمية؟!أمريكا والعالم بعد الحرب الباردة) وفى هذا الكتاب يقدم زلماى خليل زاد توثيقاً للخطة الأمريكية الهادفة إلى منع أى دولة - غير الولايات المتحدة - من بلوغ أية وضعية تنافس بها واشنطن.. حتى ولو باستخدام القوة. ومن بين كتبه كذلك (منابع الصراع فى القرن الحادى والعشرين). ويعرض فيه التوجهات العالمية المختلفة خلال القرن الحالى.

❑❑❑

إنه واحد من الصقور المتشددين فى إدارة بوش ولكنه المسلم الوحيد الذى حظى بتلك المكانة ويقوم بتلك الأدوار.. وراء الكواليس غالبا. والقائمة طويلة.. وسوف تنكشف وتتساقط مثلما هوى ريتشارد بيرل مؤخرا!

❑❑❑

الفصل الثامن

فوكوياما ينتهى.. والتاريخ مستمر!

بعد إعلان (نهاية التاريخ) عام ١٩٨٩.. اعترف فرانسيس فوكوياما - الأمريكى الجنسية.. اليابانى الجذور - بخطأ تلك النظرية.. قائلاً: «نحن لم نصل بعد إلى نهاية التاريخ.. لأننا لم نصل إلى نهاية العلم».. وتوقع فوكوياما أن سيطرة البشرية على تطورها الذاتى - من خلال التكنولوجيا البيولوجية - سوف يكون له تأثير رهيب على الديمقراطية الليبرالية التى تفترض أن كل البشر متساوون!

وفى كتاب آخر.. هو (التمزق العظيم) يعرض فوكوياما لتمزق الحضارة الغربية من ثلاث زوايا: ارتفاع معدلات الجريمة.. وانهيار العائلة.. وانعدام الثقة فى مؤسسات المجتمع. بمعنى أن المجتمعات الغربية قد تبدو منتصرة ومتفوقة (ظاهريا) فقط.. ولكنها ممزقة فى أسسها ونظامها الأخلاقى.

وقد كتب فرانسيس فوكوياما مقالاً بعنوان بغيض.. نذكره من باب العلم فقط - ألا وهو (هل يمكن لأى إله أن يأتى بإسلام

راديكالى).. وشاركه فى كتابة هذا المقال (نـاداث سـامين).. وهمـا يتفقان (على أن الحالـة الإسـلامية أو الاتجـاه الإسـلامى هـو قـوة مدمرة تستحق مقارنتها بالشيوعية والفاشية.. ومـع ذلـك فإنـه يمكن تحديثه.. أو انتزاع القيـود التقليديـة التـى تمنـع المسلمين مـن التحـديث. وإذا تم انتـزاع الاتجـاه الإسـلامى أو الحالـة الإسـلامية مـن أيـديولوجيتها فإنهـا قـد تصبـح نعمـة أو اتجاهـا مقبولاً.. ولكنه يحظى بغطاء متخلف)!!

ولم يكـن فوكويامـا هـو المفكـر الغربـى الوحيـد الـذى يـتهم الإسلام بالتخلف وعدم الحداثة.. فقد سبقه كثيرون.. بـاحثون ومستشـرقون وفلاسـفة مـن أبـرزهم هيجـل الـذى كتـب أوائـل القـرن التاسـع عشـر: لقـد اختفـى الإسـلام مـن علـى منصـة التـاريخ وارتـد إلى السـهول الشـرقية وإلى الراحـة الأبديـة)..!! هذه أمانيهم وأحلامهم.. ومخططاتهم. فالإسلام يـزداد انتشارًا فـى جميـع أنحـاء العـالم وهـو العقيـدة الثانيـة فـى كوكبنـا. وهـذا الفكـر الـذى يـدعى فوكويامـا (أنـه قـوة مـدمرة) لم يقـم بحمـلات اسـتعمارية كـبرى شملـت كافـة القـارات. ولم يقـم الإسـلام بإبـادة الشـعوب.. ولم يسـتنزف ثـروات الأمـم.. كمـا تفعـل الحضـارة الغربيـة علـى مـدى قـرون.. وحتـى يومنـا هذا.. وغدنا أيضا.

ويطالب فوكوياما بنزع الأيديولوجية عن الاتجاه الإسلامى وأن تحظى بغطاء خارجى مزيف.. أى أن يتم إعادة صياغة الإسلام بعد انتزاع جوهره.. بما يتوافق مع المشاريع والمخططات الكبرى التى بدءوا تنفيذها فعلاً.. وآخرها (الشرق الأوسط الكبير).

وهذه الخطيئة التى يرتكبها فوكوياما فى حق الإسلام.. هى ذاتها التى يرتكبها الغرب فى مواجهته له. فما زال الإسلام قوة مؤثرة فى مسار الأحداث والأمم.. بل إنه قوة دافعة لشعوب الأمة الإسلامية على رغم حالات التخلف والفقر والضعف التى تعتريه لأسباب عديدة.. من بينها الغرب ذاته.. بل إن عظمة الإسلام - كما علق مارتن كرام على مقال فوكوياما - : (تكمن فى قدرته على التكيف الذاتى مع كل الظروف المتغيرة. وكلما بدا أنه متخلف عن العصر.. أو توقع كثير من المحللين الغربيين نهايته.. ظهر فجأة بشكل جديد تماما).

ولعل رؤية فوكوياما العنصرية والمتحيزة ضد الإسلام والمجتمعات الإسلامية ترتبط بمشكلة نظريته الشهيرة التى أعلنها فى مقال عام ١٩٨٩.. ثم فى كتاب عام ١٩٩٢.. يحمل اسم (نهاية التاريخ والرجل الأخير).. وفيه يرى فوكوياما أن العالم يتجه بشكل جارف نحو الديمقراطية الليبرالية. وبافتراض اتجاه

العالم الإسلامى نحو التحديث مستقبلاً يتفق فوكوياما مع أحد كبار منتقديه (صامويل هنتجنتون) الذى يعتقد بأن نهاية الحرب العالمية الباردة سوف تؤدى إلى (صدام الحضارات) على أساس عقائدى وثقافى. ويبدو أن الإدارة الأمريكية الحالية تستخدم تلك النظرية عند محاربتها لكل العقائد والأيديولوجيات المضادة للغرب. لذا يقول فوكوياما: «بينما يبدو الاتجاه الإسلامى وسيلة شديدة الفعالية فى الحشد السياسى.. فإنه يمثل كارثة أيديولوجية تحكم وتسيطر على بعض الدول».

وربما لم يكتب فوكوياما مؤلفًا آخر بحجم وتأثير كتابه (نهاية التاريخ) الذى أثار ضجة كبرى عند نشره. ولكنه قدم كتابًا جديدًا بعنوان (مستقبلنا بعد المرحلة البشرية) أو بمعنى آخر.. نهاية الطبيعة البشرية وآثار ثورة التكنولوجيا الحيوية. فهذا الكتاب أحدث ضجة أخرى. وفيه يعترف فوكوياما بخطأ نظريته حول نهاية التاريخ.. فكيف يكون للتاريخ نهاية.. بينما يتطور العلم؟!

ويعرض المؤلف الأمريكى - ذو الجذور اليابانية - اقتراحا لإنشاء آلية سياسية دولية للسيطرة على أبحاث التكنولوجيا الحيوية. بمعنى أنه يطالب العالم بفرض مزيد من النظم والقيود على تلك الأبحاث. ويبدو أنها نظرية (شمولية) جديدة

يحاول فوكوياما أن يلبسها ثوب العلم والتكنولوجيا! وربما تدفعه احتمالات عدم تنظيم أبحاث التكنولوجيا الحيوية على البشر إلى المطالبة بالاتفاق على حظرالاستنساخ البشرى على سبيل المثال!

ويقول فوكوياما: (قد تصبح التكنولوجيا الحيوية خطأ سياسيا فاصلا ومهماً فى عالم السياسة فى المستقبل.. والحصول على توافق دولى للسيطرة على أبحاث التكنولوجيا الحيوية فى المجال الطبى لن يتم دون بذل جهد كبير من المجتمع الدولى.. خاصة من الدول القائدة فيه. ولا يمكن خلق هذا التوافق بمجرد إطلاق رصاصة سحرية.. بل يجب استخدام أدوات الدبلوماسية التقليدية لتحقيق هذا الهدف).

ويواصل فوكوياما عرض أفكاره المثيرة حول مرحلة نهاية الطبيعة البشرية قائلا: «بينما نعرف المزيد حول كيفية تفاعل الجينات فى تشكيل سلوك البشر.. فإن هناك مبررًا قويًا للعودة إلى الفلسفات البشرية الأولى والمبكرة.. الإغريقية على سبيل المثال.. التى تستند إلى الطبيعة كأساس للحصول على الحقوق السياسية. مع العلم بأن الفلسفات الأحدث أضافت المزيد من التجربة. وبينما نلاحظ تقدم التكنولوجيا بسرعة مذهلة.. وتزايد معدل عمر الإنسان وتقلص أعداد المواليد الجدد.. فإن

هذا يؤدى إلى خلق عالم أكبر من متوسط الأعمار حيث تتعايش أجيال عديدة فى مكان العمل.. بدلاً من إفساح المجال لأجيال أخرى.. وقد ينتج عن ذلك ما يمكن أن نطلق عليه حروب العمر.. على غرار الحروب الجينية!! وفى المستقبل القريب سوف يتمكن الآباء الأغنياء من اختيار بويضات مخصبة ذات سمات متفوقة تحظى بالذكاء.. والقدرات الرياضية الرفيعة.. والمظهر الجميل.. بمعنى نشوء ما يمكن أن نسميه (عرق سوبر). ولكن هذه التكنولوجيا الحيوية سوف تكون لها مخاطر أبرزها تهديد أسس الإدراك المعنوى والأخلاقى للبشر.. تلك الأسس التى ستبقى وستظل قائمة.. ما دام قد بقى البشر!.

وحول كيفية تفاعل وتشكيل الثقافات فى ظل تصاعد الاندماج الاقتصادى العالمى.. يرفض فوكوياما الرأى القائل بأن العولمة سوف تؤدى إلى التماثل الثقافى، مشيرًا إلى أن المجتمعات ما زالت تحتفظ بسماتها وخصائصها المتميزة.. على رغم الضغوط الثقافية الخارجية. بل إن تلك القيم الثقافية ما زالت تصوغ أسلوب إدارة الأنشطة والأعمال داخل كل دولة. وهذا لا يعنى أن المجتمع لا يتأثر أو يتغير بعملية العولمة.. بل إن هناك نوعًا من الالتقاء بين الأيديولوجيا السياسية والاقتصادية. ومع ذلك فإن هناك عوامل ثقافية أعمق لا يمكن التخلى عنها بسهولة.

ويضيف فوكوياما: أعتقد أن هناك ثقافة استهلاكية عالمية نشرتها شركات عالمية شهيرة متعددة الجنسيات. وإذا تعمقت فى المجتمعات وسألت الناس فى بلاد مختلفة عن: ولاءاتهم - ورؤيتهم لعائلاتهم.. ونظرتهم إلى السلطة.. فسوف تكتشف اختلافات هائلة. وعندما يحاول البعض فحص ثقافة معينة.. فإنهم يهتمون كثيرًا بجوانب وأمور مثل أنواع السلع الاستهلاكية التى يشترونها.. وهذه أكثر مظاهر الثقافة سطحية.. فالثقافة تشمل نواميس وأسسا أخلاقية أعمق تؤثر فى مدى ترابط الناس. وفى كتابى (الثقة: السمات الاجتماعية وبناء الرخاء).. أتناول فكرة جوهرية تقول: إن السمات الأعمق - أو النواميس الأخلاقية - تصوغ وتحدد طبيعة النشاط الاقتصادى وتؤثر فيه. وعلى سبيل المثال.. فإن الثقافة الصينية تقوم على أسس عائلية.. والأنشطة الاقتصادية والتجارية تشمل العائلة بأسرها.. وهذه الحقيقة لها آثار كثيرة، فهى تعنى أن الأنشطة الاقتصادية الصينية لا تميل نحو التوسع والانتشار الكبير.. ربما لأنها لا تسعى للاستعانة بمديرين من خارج العائلة. وهذا يعنى أيضًا صعوبة بناء أسماء لعلامات تجارية كبيرة وشهيرة، لأنه لا تتم الاستعانة بمنظمات تسويق ضخمة. ويرى فوكوياما أن المكونات الثقافية الأعمق تشمل: اللغة.. والدين.. والعرق.. وهذه عناصر مهمة فى أى كيان محلى. وهناك اهتمام كبير

بما يسميه فوكوياما (شبكات الثقة). فهذه الشبكات تختلف من مكان إلى آخر فى العالم. وحتى نفهم طبيعة الأنشطة العملية والاقتصادية فى أية منطقة أو دولة.. يجب علينا فهم شبكات الثقة فيها.. وبمجرد فهم تلك الشبكات وإقامة علاقات الثقة سوف ينطلق العمل والنشاط الاقتصادى.. وتتواصل العلاقات.

التمزق العظيم !

وقد تناول فوكوياما قضايا وموضوعات متنوعة وواسعة.. خلال مقالاته وكتبه وأبحاثه.. مثل عملية (الدمقرطة) أو التحويل الديمقراطى.. والاقتصاد السياسى الدولى. وفى إنتاجه الأخير.. ركز على دور الثقافة ورأس المال الاجتماعى فى الحياة الاقتصادية. وفى الماضى.. تناول فوكوياما السياسة الخارجية السوفيتية فى العالم الثالث.

وفى كتابه المهم (التمزق العظيم) يحاول الرد على منتقدى كتابه المثير (نهاية التاريخ). يقول فوكوياما: «يرى البعض أن المؤسسات السياسية الغربية قد تبدو منتصرة ومتفوقة. ولكن ألا ترى أن نظامنا الأخلاقى ينهار أمام أعيننا.. ومن حولنا؟ إذ إن الدول المتقدمة تشهد معدلات عالية جدا من الجرائم.. كما انهارت وتمزقت العائلة الغربية.. وانتشرت الأنانية على نطاق واسع.. وافتقد المجتمع الغربى أى شكل من أشكال

التضامن الاجتماعى. بمعنى أن مجتمعاتنا (المجتمعات الغربية) تبدو منتصرة ظاهريا فقط، وكتاب (التمزق العظيم يتناول هذه القضايا من ثلاث زوايا.. الأولى: ارتفاع معدلات الجرائم. والجميع يتفق على أن الجريمة أمر سيئ. كما أن نموها يمثل انهيارا للنظام الاجتماعى. ومن المثير عندما تتابع أحوال الدول المتقدمة.. خاصة أوروبا وأمريكا الشمالية.. دون الدول الأسيوية.. سوف تكتشف أن كل دولة تشهد زيادة سريعة فى نمو معدلات الجريمة.. وبدأت تلك الزيادة أو الطفرة الإجرامية فى ذات الوقت تقريبا فى المجتمعات الغربية.. فى أعوام ٦٣ - ٦٤ — ١٩٦٥م.. وانطلقت بسرعة فائقة ومنتظمة خلال السبعينات والثمانينات. أما الزاوية الثانية للتمزق الغربى فهى ما حدث للعائلة التى بدأ انهيار جوهرها منذ الخمسينات. والولايات المتحدة ليست استثناءً فى ذلك. فثلث المواليد الأمريكيين ولدوا خارج مؤسسة الزواج منذ التسعينات.. وبلغت تلك النسبة الثلثين فى السويد. بل إن معدلات الطلاق والانفصال فى تصاعد مستمر فى السويد والولايات المتحدة أيضا. كما أن عدد الأطفال الذين ترعاهم الأم وحدها أو يعيشون دون رعاية الأبوين معا فى تصاعد مستمر. والمثير والمهم فى ذلك ليس مستوى التمزق العائلى.. بل إن هذا الاتجاه يحدث فى عدة دول فى آن واحد.

أما الزاوية الثالثة للتمزق الغربى - كما يرصده فوكوياما - فهى (الثقة).. أو مؤسسات الثقة.. الثقة فى المواطنين. وقد جرت استطلاعات فى عدة دول غربية.. وتناولت ذات الأسئلة: هل تثق فى قيام حكومتك بواجبها بشكل صحيح؟.. وهل تثق فى مواطنى بلدك؟ هل تثق فى مؤسساتها المختلفة: فى اتحادات العمال؟ فى الهيئات؟ فى الأطباء؟ فى النظام القضائى؟ وجاءت الردود مثيرة.. ومتشابهة أيضًا.. حيث إن مستوى الثقة قد تراجع فى تلك الدول المتقدمة بشكل دراماتيكى ومتزامن تقريبًا؛ ففى الولايات المتحدة يثق ١,٧٪ فقط فى الحكومة الفيدرالية.. بعد أن كانت ١٥٪ خلال التسعينات.

❑❑❑

بقى أن نعرف من هو فوكوياما؟. لقد هاجر جده إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥ هربًا من المشاركة فى الحرب اليابانية - الروسية آنذاك. وقد ولدت أمه فى اليابان وجاءت إلى الولايات المتحدة بعد تلك الحرب. كما تطوع أحد أخواله فى الجيش الأمريكى. وقد ولد فرنسيس فوكوياما فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٢ فى شيكاغو.. وترعرع فى نيويورك.. وتدرب والده فى إحدى الإبراشيات، وتخصص فى الدراسات الدينية. وحصل على البكالوريوس فى الدراسات الكلاسيكية من جامعة كورنيل..

وحصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة هارفارد. وهو عضو فى مؤسسة راند. وكان عضوًا بهيئة التخطيط السياسى بوزارة الدفاع الأمريكية خلال فترة الثمانينات.. وفى عامى ٨١، ١٩٨٢م شارك فى الوفد الأمريكى لمباحثات السلام المصرية - الإسرائيلية حول الحكم الذاتى الفلسطينى.

وبقراءة سريعة لتطوره الفكرى يتضح أن فوكوياما يحاول إثارة ومضات ثقافية.. خاطئة فى بعض الأحيان.. ومعادية للحضارات الأخرى.. خاصة الإسلام فى أحيان أخرى. وعلى رغم اعترافه بخطئه عن كتابه (نهاية التاريخ).. فإنه يسلط الضوء على (التمزق العظيم) الذى تشهده الحضارة الغربية.. وهو اعتراف أقرب إلى الإقرار بقرب (نهاية الحضارة الغربية).. وهذه ليست نهاية التاريخ!

❑❑❑

الفصل التاسع

أحدث الطبعات العنصرية لـ (هنتنجتون)

«يجب على صناع القرار فهم وإدراك نظرية صدام الحضارات عند التدخل فى شئون الدول الأخرى».. هذه مقولة صامويل هنتنجتون منظر الصراعات.. بين الأمم والحضارات!

وفى كتابه الجديد (من نحن: تحديات الهوية القومية الأمريكية) يرى هنتنجتون: «أن أمريكا فى جوهرها كانت وما زالت وستظل دولة مسيحية». ويحذر من أن تنامى الشقاق والخلاف بين (الطبقة الوطنية العاملة) وبين (النخب غير الوطنية) سوف يؤدى إلى حدوث تصدعات خطيرة داخل الولايات المتحدة. ويطالب هنتنجتون فى أحدث طبعاته العنصرية بانطلاق (حركة المواطنة البيضاء).. محذرا من أن اختلاط الأعراق - ومن ثم الثقافات - هو سبيل التفسخ القومى.. الأمريكى!

وربما كانت مصادفة غير مقصودة أن نتناول (إبداعات) هنتنجتون (الصدامية) وهو يحتفل بعيد ميلاده السابع

والسبعين فى ذروة المواجهات والصراعات التى يشهدها العالم.. تحقيقا لنظريته.. المخططة والمبرمجة.. لتمهيد العالم لتلك الحقبة الخطيرة من تاريخه.

وقد اشتهر هنتنجتون بتحليلاته للعلاقة بين الحكومة العسكرية والمدنية.. وبأبحاثه فى مجال الانقلابات السياسية.. وبنظريته الشهيرة (صدام الحضارات).. والتى يرى فيها أن اللاعبين الأساسيين فى الحلبة السياسية خلال القرن الحادى والعشرين سوف يمثلون الحضارات وليست الدول أو الأمم. وكتابه (صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمى).. برز لأول مرة عام ١٩٩٣ فى مقال فى دورية فورين أفيرز (Foreign Affaires) الأمريكية الشهيرة، وجاء ردا على كتاب فرانسيس فوكوياما (نهاية التاريخ).. الذى عرضنا له سابقاً. ثم بلور هنتنجتون نظريته تلك فى كتاب شهير صدر عام ١٩٩٦.

صراع.. وصدام

وفى كتابه الشهير.. يرى هنتنجتون أن العالم بحضاراته المتعددة.. يتجه نحو الصدام والصراع. وخلال عرضه لنظريته.. انتقد هنتنجتون السلوك الغربى.. وغير الغربى.. متهما الطرفين بالإفراط النقدى والتركيز الحضارى.. كما حذر

الغرب من احتمال فقدانه لسيطرته وتفوقه إذا فشل فى التعرف على طبيعة هذا التوتر المتنامى.

ووفقا لتلك النظرية.. يرى هنتنجتون أن الحضارات مقسمة على أساس دينى.. غالبًا. والحضارات الرئيسية فى العالم حاليا.. من وجهة نظره.. هى:

- الحضارة الغربية المسيحية.. والمتركزة أساسًا فى أوروبا وأمريكا الشمالية. وإذا دخلت أمريكا اللاتينية أو دول الاتحاد السوفيتى السابق ضمن تلك الدائرة.. أو ظلت ذات حضارات مستقلة خاصة بها.. يجب النظر إليها بالاهتمام فى المستقبل..
- العالم الإسلامى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
- الحضارة الصينية.
- أفريقيا السوداء.. جنوب الصحراء.
- المناطق البوذية.. شمال الهند وشمال غرب الصين.
- اليابان.

وبقراءة دقيقة لهذا التقسيم (الحضارى) نلاحظ أن هنتنجتون قسم الحضارة الغربية أو المسيحية ذاتها إلى عدة أجزاء.. على رغم انتمائها إلى وعاء حضارى أوسع وأشمل. فأخرج أمريكا اللاتينية من هذا الإطار.. وأخرج العالم الأرثوذكسى

المسيحى منه.. بل أخرج الدول المسيحية فى أفريقيا وغير أفريقيا من ذات الإطار الحضارى.. لتضييق دائرة هنتنجتون.. وتكاد تقتصر على إطار عرقى عنصرى جيوبوليتيكى!!

ويزعم العالم الأمريكى أن الفترة التى تلت الحرب العالمية الباردة شهدت نشوب صراعات على الحدود الفاصلة بين الحضارات.. وقليل من النزاعات وقع داخل الحضارات ذاتها. ومن المؤكد أن هنتنجتون يتجاهل - عمدًا - الحربين العالميتين الأولى والثانية خلال القرن العشرين.. وهما أكبر النزاعات تقريبًا على مدار التاريخ.. وكلتا الحربين وقعتا داخل الحضارة الواحدة.. وشملت أطرافاً وعنصرية واستقطاباً غير حضارى.. يقوم على أسس عرقية وعنصرية ولتحقيق مصالح استراتيجية وسياسية متناقضة. بل إن تاريخ أوروبا الطويل - وهى أصل العالم الغربى قبل انضمام العم سام - شهد الكثير من الحروب الضارية بين أطراف ودول الحضارة الغربية الواحدة.

يزعم (المنظر) المبدع أن الحروب التى حدثت بعد انهيار يوغوسلافيا وفى الشيشان وبين الهند وباكستان.. كلها تؤكد نظريته: صراع الحضارات. بل إنه يرى بحق حتمية الحرب بين مناطق حضارية كاملة بسبب تناقض نظم القيم بشكل جوهرى ويقول: «إن نمو وانتشار أفكار مثل الديمقراطية

والتجارة الحرة منذ نهاية الحرب الباردة.. جاء نتيجة تأثير الغرب المسيحى.. كما أن بقية العالم قام - حتى الآن - بدور بسيط فى عملية العولمة الجارية الآن»! وهذا ادعاء مردود عليه لسببين: أولهما: أن الغرب بحملاته الاستعمارية الممتدة عبر القرون وحتى الآن.. وبصياغته لنظم السياسة والتجارة والاقتصاد الدولى فى أطر تضمن سيطرته وهيمنته على العالم.. بهاتين الوسيلتين.. نجح الغرب فى إضعاف وتهميش دور بقية العالم.. على رغم المشاركة الفاعلة والمؤثرة لبعض أطرافه.. مثل الصين واليابان والهند.. وهم ليسوا ضمن العالم الغربى.. بكل المقاييس الحضارية الضيقة التى وضعها هنتنجتون.

السبب الثانى: يتمثل فى أن عملية العولمة التى نراها الآن مفروضة غربيًا فالغرب يريد أن يفرض نظم القيم والسياسة والتجارة والمصالح التى يراها هو دون مراعاة قيم ومبادئ وعقائد وحضارات الآخرين. وإلا أصبحت العولمة مرادفا (للتغريب).. أو (الاستغراب).

ويبدو أن المقال الأول عن صدام الحضارات الذى نشره هنتنجتون فى (فورين أفيرز) قد حظى باهتمام وردود أفعال لم يحظ بها أى مقال أو دراسة أخرى نشرتها الدورية المرموقة. ولعل أبرز الانتقادات التى وجهها الباحثون والساسة لتلك

النظرية هو أن حضارات هنتنجتون تبدو هشة وممزقة.. ولا تحظى بالحد الأدنى من الوحدة والترابط! ففيتنام ما زالت تحتفظ بجيش ضخم، ربما لحمايتها من الصين.. وهناك حضارات أخرى ذات خطوط عرقية متنوعة. وهناك دول عديدة - داخل الغرب وخارجه - لها آراء ومواقف متباينة.. بل متناقضة أحياناً. ويرى معارضو نظرية (صدام الحضارات) أنها وسيلة مقنعة لإضفاء الشرعية على العدوان الغربى الذى تقوده الولايات المتحدة ضد العالم الثالث بهدف منعه من تحقيق النمو والازدهار الاقتصادى. ومن المثير للاهتمام.. مقارنة نظرية هنتنجتون وتأثيرها على صناع القرار فى الإدارة الأمريكية عامة.. والبنتاجون بصفة خاصة.. بنظرية إيه جيه توينبى التى تقوم على أساس الدين إلى حد كبير.. وقد تعرضت نظرية توينبى لنقد مماثل.

كتاب جديد للعنصرية

وفى كتابه الجديد بعنوان (من نحن: تحديات الهوية القومية الأمريكية) يعرض الكاتب تعريفا لتلك الهوية والتهديدات التى تواجهها من الهجرة اللاتينية التى يرى أنها يمكن أن تقسم الولايات المتحدة إلى شعبين.. وثقافتين.. ولغتين!!

وإذا كان كتاب (صدام الحضارات) قد توقع بل رسم وخطط لمعركة الولايات المتحدة مع المتشددين الإسلاميين.. فإن كتابه الجديد (من نحن؟).. يسلط الأضواء على أمريكا ذاتها.. أمريكا كما يجب أن تكون.. من وجهة نظر هنتنجتون! وعلى رغم السمة التشريحية للكتاب فإنه يتميز بلهجة هجومية عنيفة. وتستند فكرته الرئيسية على أن أمريكا فى جوهرها وقلبها كانت ويجب أن تظل دولة مسيحية.. بكل الوسائل اللازمة.. كما يجب أن تظل دولة أنجلو أمريكية.. ويجب أن تعكس وسائل الإعلام الأمريكية هذه الوضعية.. خاصة المحافظة منها (وربما يقصد فوكس نيوز اليمينية المتطرفة والمعادية للعرب والمسلمين).

وفى كتابه هذا يؤكد هنتنجتون باستفاضة أن العقيدة الأمريكية الأساسية هى (أيديولوجية متأثرة بالبروتستانتية) تمت صياغتها على النمط البريطانى. هذه العقيدة تمثل التوجه الأصلى لمؤسسى الولايات المتحدة (التى قامت على أنقاض وأشلاء الهنود الحمر!). كما أن تلك العقيدة هى المسار الأمثل والأفضل للولايات المتحدة. ويتناول هنتنجتون فى كتابه (من نحن) قضايا أخرى.. مثل ضرورة إعطاء الأولوية القصوى للغة الإنجليزية.. على رغم ما تتعرض له من أخطار.. وكذلك قضية الهجرة، مما أدى إلى تعدد

الثقافات داخل الولايات المتحدة ذاتها. ويحاول استغلال ذلك لتأكيد نظريته الجديدة قائلا: إن تنامى الانقسام بين الطبقة الوطنية العاملة.. وبين النخب غير الوطنية سوف يؤدى إلى تصدعات وانقسامات خطيرة داخل الولايات المتحدة ذاتها.

والسؤال الذى يفرض نفسه هو: إلى أين تقودنا تلك النظريات والاستنتاجات التى توصل إليها هنتنجتون؟ وما مدى صحتها؟ فهو يتوقع فى كتابه الجديد نشوء وانطلاق (حركة المواطنة البيضاء) داخل الولايات المتحدة.. وهى حركة لن تكرس تفوق العرق الأبيض.. على حد زعمهم! ويشير هنتنجتون إلى أن اختلاط الأعراق - ومن ثم الثقافات - هو سبيل التحلل والتفسخ القومى الأمريكى؟!. وهنا يصل الكاتب إلى ذروة التناقض.. فالدعوة إلى تجديد حركة المواطنين البيض هى التى ستؤدى إلى صدام الحضارات داخل أمريكا ذاتها.. وهى تؤكد التوجه العنصرى لهنتنجتون.. وصناع الشر.. أمثاله! وكيف يدعو إلى بناء نوع من التناغم القومى.. بينما يشير إلى تنامى وانتشار تيار الأمركة؟!

ويتجاهل هنتنجتون عملية تواصل وتفاعل الحضارات التى جرت - وما زالت - عبر التاريخ.. وعلى رغم كل ما يحدث من صدام وصراعات وحروب. وكان لكل حضارة ولكل أمة إسهاماتها

المشهورة فى مراحل معينة.. وإخفاقاتها فى مراحل أخرى. هكذا كانت أوروبا.. والولايات المتحدة.. وهكذا كل الحضارات والأمم الأخرى. هذه حقيقة مؤكدة يشهدها.. ويشهد عليها التاريخ.. ويتعمد هنتنجتون إغفالها.. خدمة لأغراض ومخططات استراتيجية مبرمجة.. ومعدة منذ زمن طويل. والغرب نفسه حافل بنظم حكم استبدادية وأصولية على مدار التاريخ.

والغالبية الساحقة فى كل الحضارات تسعى للتعايش السلمى والإيجابى.. ولا يمكنها أن تعيش فى حروب وصدامات طوال الوقت. وإذا كان هنتنجتون قد تنبأ بأحداث ١١ سبتمبر أو بشّر بها! وتوقع ما حدث فى أفغانستان والعراق.. فإنه أخفق فى استشراف آفاق المستقبل من قضايا أخرى.. فما زالت العلاقات قوية بين اليابان والولايات المتحدة.. وما زالت طوكيو تقدم الدعم السياسى والمالى للسياسات الخارجية الأمريكية.. كما أن التحالف الصينى - الإسلامى الذى رآه هنتنجتون أمراً حتمياً لم يتم بعد!

ومن الواضح أن العالم الأمريكى تأثر فى تقسيمه للمناطق الحضارية.. بنظرية (حضارة القارات) لعالم الجغرافيا الألمانى (ألبرت كولب). وهى النظرية التى تعرضت لنقد واستنكار شديدين منذ عام ١٩٦٢.

وفى الفصل الأول من (صدام الحضارات).. يقول هنتنجتون: «فى ٣ يناير ١٩٩٢ جرى لقاء بين باحثين روس وأمريكيين فى أحد المبانى الحكومية بالعاصمة موسكو. وقبل ذلك بأسبوعين كان الوجود السوفيتى قد انتهى. وأصبح الاتحاد الروسى دولة مستقلة. ونتيجة لذلك اختفى تمثال لينين.. وحل محله العلم الروسى. وشهدت السنوات التالية للحرب الباردة بداية تغييرات دراماتيكية فى هويات الشعوب ورموز تلك الكيانات. وبدأت عملية إعادة صياغة السياسات العالمية وفقا للخطوط الثقافية والحضارية. وجاء ارتفاع أعلام وهبوط أخرى مؤشرًا على ذلك التحول. واحتشد الروس - وغيرهم من الشعوب - وراء تلك الرموز التى تعبر عن الهويات الثقافية والحضارية الجديدة». ويبدو أن هنتنجتون يمتلك زراً للتغيير الحضارى السريع.. لا يعلمه أحد سواه!! ويواصل الكاتب الأمريكى حديثه قائلا: «فى ١٨ أبريل ١٩٩٤.. رفع ألفا بوسنى أعلام تركيا والسعودية فى سراييفو.. بدلاً من رفع أعلام الأمم المتحدة أو الناتو أو أمريكا.. فسكان سراييفو حددوا هويتهم واقترانهم بالعالم الإسلامى. وأعلنوا للعالم من هم أصدقاؤهم الحقيقيون.. وغير الحقيقيين»!!

«وفى ١٦ أكتوبر ١٩٩٤ تظاهر نحو ٧٠ ألفا فى لوس أنجلوس وسط بحر من الأعلام (المكسيكية) محتجين على مشروع القانون رقم ١٤٧ الذى يدعو لإجراء استفتاء ربما يؤدى إلى إلغاء الكثير

من المزايا التى تقدمها أمريكا للمهاجرين غير الشرعيين وأطفالهم. وتساءل المراقبون: لماذا يتظاهر هؤلاء فى شوارعنا تحت العلم المكسيكى ويطالبون الدولة بمنحهم التعليم المجانى؟! وبعد أسبوعين تظاهر عدد أكبر بعد إقرار القانون بنسبة ٥٩٪ من ناخبى ولاية كاليفورنيا.. حاملين العلم الأمريكى»!!

يقول هنتنجتون: «إن أعلام ما بعد الحرب الباردة.. وكذلك الرموز الأخرى التى تعبر عن الهويات الحضارية بما فيها الصليب والهلال وغطاء الرأس.. تعبر عن تعدد الحضارات. والهوية الحضارية ذات مغزى ودلالة أهم بالنسبة لأغلب البشر. فهؤلاء البشر يكتشفون هويات جديدة - قديمة غالبًا - ويتظاهرون تحت أعلام جديدة - قديمة غالبا.. وهذه الأعلام سوف تؤدى إلى نشوب حروب مع أعداء جدد.. بل قدامى غالبا»! ويقتبس هنتنجتون فقرة من قصة (البحيرة الميتة).. تقول: «لا يمكن أن يكون هناك أصدقاء حقيقيون.. دون وجود أعداء حقيقيين. وما لم نكره ما لسنا عليه.. لا يمكن أن نحب ما نحن عليه! تلك الحقائق القديمة التى نعيد اكتشافها بكل الألم! وأولئك الذين يتجاهلونها.. إنما ينكرون عائلاتهم.. وتراثهم.. وثقافتهم.. وحق الميلاد.. بل ينكرون ذواتهم الداخلية. ولن يغفر لهم ذلك.. بسهولة»!

بقى أن نعلم أن صامويل هنتنجتون.. عالم السياسة وخريج جامعة هارفارد- كان مساعدا للرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون لشئون السياسة الخارجية.. وهو يطالب صناع القرار بإدراك وفهم نظريته الصدامية العنصرية.. عند التدخل فى شئون الدول الأخرى!

الحقد والكراهية والعنصرية هى التى تحرك وتوجه هنتنجتون.. إضافة إلى الجهل بحقائق وعقائد وتاريخ الشعوب.. ناهيك عن سوء الفهم والنوايا.. والمخططات أيضا!

❑❑❑

الفصل العاشر

كريستول.. الأب الروحى للأشرار

«إن الدول ذات الهوية الأيديولوجية - مثل الاتحاد السوفيتى بالأمس والولايات المتحدة اليوم - سوف تجدد نفسها مضطرة للدفاع عن كيانها ضد القوى غير الديمقراطية.. داخليًا وخارجيًا. وهذا هو السبب الذى جعل مصلحتنا القومية فى الدفاع عن بريطانيا وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية. وهذا هو السبب الذى يجعلنا نشعر بضرورة الدفاع عن إسرائيل عندما تتعرض للتهديد دون الدخول فى الحسابات الجيوبوليتيكية المعقدة للمصالح القومية الأمريكية»!! هذا ما يقوله إيرفينج كريستول الأب الروحى لحركة المحافظين الجدد.. وأحد بناة الإمبراطورية الأمريكية الجديدة!

ويقول الأب الروحى للمحافظين الجدد: سواء قصدت الولايات المتحدة أم لم تقصد.. فإنها أصبحت تسيطر على العالم عسكريًا وثقافيًا. وفى كتابه (الإمبراطورية الأمريكية الصاعدة).. يواصل إيرفينج كريستول عرض أفكاره وتوجهاته الاستعمارية: «فى يوم ما سوف يستيقظ الشعب الأمريكى على

حقيقة أن بلاده أصبحت إمبراطورية فعلية.. حتى لو كانت تقاليدنا السياسية تتنافى مع ذلك.. وعلى رغم اعتراض جانب من الرأى العام الأمريكى على هذا الوضع. وهذا الطموح المتوقع هو الذى يحدد مصير الولايات المتحدة.. وهى ليست مؤامره من قبل النخبة الأجنبية المثقفة!. إن الولايات المتحدة أصبحت إمبراطورية لأن العالم أراد حدوث ذلك (من وجهة نظر كريستول طبعًا). كما أن تلك الإمبراطورية جاءت نتيجة سلسلة من الأزمات التى لا يمكن حلها دون التدخل الأمريكى ! ولم تنشأ الإمبراطورية فى ظل حالة من اللاوعى أو الغياب العقلى.. كما زعم أحد المؤرخين. كما أن هذه الحالة هى التى دفعت إلى وجود ونشأة الإمبراطورية الأمريكية»!

أوروبا غير مستقلة

يواصل الأب الروحى لصناع الشر حديثه قائلاً: «إن نشأة وتطور حلف الناتو تؤكد تلك الحقيقة. فقد كان هناك تصور بأن الحلف يتكون من القوى العسكرية الرئيسية للولايات المتحدة وأوروبا الغربية. ولكن الدول غير العسكرية - مثل بلجيكا وهولندا والدنمارك واليونان - انضمت للحلف خشية تجاهل مصالحها القومية. وها هى ذى بولندا والمجر وتشيكيا تسير فى ذات الاتجاه.. مما أثار جدلاً فى الولايات المتحدة من أن هذا التوسع قد يزيد إثارة واستفزاز روسيا».

والناتو - بوضعه الحالى - كما يرى إيرفينج كريستول يعنى أن الولايات المتحدة منحت أوروبا ضماناً لحدودها القائمة.. ضمانا بعدم تعرضها للغزو أو الاعتداء. وهذا هو الهدف الأهم والأسمى لتلك الدول. ولكن التساؤل الذى يفرض نفسه: ما هو الثمن الذى تدفعه أوروبا مقابل هذا الضمان الأمريكى؟!.. ظاهريا لا يبدو أن هناك مقابلاً لذلك.. ولكن النظرة العميقة تؤكد أن دول أوروبا قد تخلت وتنازلت عن الكثير لتحقيق هذا الهدف (ضمان أمنها أمريكيًا). الحقيقة المؤكدة الآن هى أنه لا توجد دولة أوروبية تريد - أو تستطيع - الاحتفاظ بسياسة خارجية. خاصة بها. بل إنه لا توجد أية دلائل على أن الدول الأوروبية تحظى بسياسة خارجية مستقلة عن الولايات المتحدة.. أى إنها دول معتمدة وتابعة للولايات المتحدة.. على رغم أنها تحتفظ بنطاق واسع من الاستقلال الذاتى (المحلى). ولعل مفهوم الإمبراطورية الأمريكية يفسر هذا المزيج بين اعتماد أوروبا على أمريكا واستقلاليتها عنها! بمعنى آخر فإن أوروبا اليوم لا تطمح إلا فى الحفاظ على أفضل حال ممكن من الرخاء.. وجنى الأرباح من خلال أنشطتها الاقتصادية مع بقية دول العالم!

أسس الأيديولوجية

وفى مقال أهم وأخطر يشرح إيرفينج كريستول (عقيدة المحافظين الجدد).. قائلا: منذ بروزها وسط المثقفين

الليبراليين خلال السبعينات.. ظلت حركة المحافظين الجدد تيارًا ثقافيًا وراء الكواليس أو تحت السطح.. تظهر على فترات متباعدة.. وبشكل متقطع.. ثم عادت لتزدهر وتنتعش مؤخرًا. بل إن جورج بوش وإدارته وصلا إلى السلطة في ظل بيئة سياسية ساعدت حركة المحافظين الجدد على خلقها وتهيئتها.. أى إن هذه الإدارة برزت وسط نهضة المحافظين الجدد.

يقول كريستول: «إذا كان الكثيرون يسألون ويتساءلون عن معنى ومغزى هذا التيار، ويشيرون إلى أننى الأب الروحى له.. فإننى نفسى أتساءل واستفسر عن معناه ومغزاه منذ سنوات.. عندما قلت - وكتبت - إن حركة المحافظين الجدد كانت تحظى بسمات متميزة خلال سنواتها الأولى.. ولكن الآن تم استيعابها داخل التيار الأشمل (حركة المحافظين الأمريكية). لقد كنت مخطئًا. والسبب فى ذلك هو أن ما نطلق عليه حركة المحافظين الجدد كانت إحدى التيارات الثقافية غير الظاهرة والمتقطعة، أى إنها ليست حركة كما يطلق عليها بعض النقاد. بل إنها - كما أطلق عليها المؤرخان الراحلان جاكسونيان أمريكا ومارفين مايرز - عقيدة ومذهب.. إنها عقيدة تشرح أبعادها ذاتيًا بمرور الوقت.. وبشكل شاذ. وهى عقيدة ومذهب يمكن فهم معناها فى إطارها التاريخى السابق».

وعندما نقيم تلك الحركة - كما يقول الأب الروحى لها- فى إطارها التاريخى.. فإننا نستطيع القول بأن الهدف الأساسى لحركة المحافظين الجدد هو: تحويل واجتذاب الحزب الجمهورى إلى تلك العقيدة.. عقيدة المحافظين الجدد. وبمعنى آخر.. أشمل وأوسع.. العمل على تحويل الحركة الأمريكية المحافظة بأسرها إلى نوع جديد من السياسة المحافظة المناسب للحكم الديمقراطى المعاصر.

وبهذا المعنى - كما يرى كريستول - لا توجد حركة للمحافظين الجدد فى أوروبا.. بل إن أغلب المحافظين الأوروبيين يشككون فى مشروعية حركة المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة- كما أن الحركة الأمريكية تبدو أكثر قوة ونفوذاً وعنفواناً.. مقارنة بالحركة المحافظة الأوروبية، كما أن الحركة الأمريكية ذات فعالية وتأثير سياسى واضح.

ومن المثير للدهشة.. كما يقول الأب الروحى لصناع الشر.. أن تلك الحركة ليست لها مبادئ فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.. فقط لديها مجموعة من التوجهات المستقاة والنابعة من تجربتها التاريخية.. هذه التوجهات يمكن تلخيصها على النحو التالى:

●● أولاً: الوطنية.. وهو شعور طبيعى وصحى يجب أن تشجعه المؤسسات العامة والخاصة.

●● ثانيًا: الحكومة العالمية.. فكرة مرفوضة ومرعبة (فى نظر المحافظين الجدد) لأنها يمكن أن تؤدى إلى نوع من الاستبداد العالمى. ويجب النظر بشك عميق إلى المؤسسات الدولية التى قد تؤدى إلى إنشاء الحكومة العالمية!

●● ثالثًا: يجب أن يحظى رجال الدولة (الأمريكيون) بالقدرة على التمييز بين الأصدقاء والأعداء.. ولا يبدو هذا أمرًا سهلاً للوهلة الأولى.. كما كشف تاريخ الحرب العالمية الباردة، إذ فشل عدد كبير من رجال الدولة الأذكياء فى اعتبار الاتحاد السوفيتى عدوًا.. وكان عددهم كبيرًا!

●● رابعًا: بالنسبة للقوة العظمى.. فإن (المصلحة القومية) ليست مصطلحًا جغرافيًا.. باستثناء الأمور الواقعية.. مثل التجارة والبيئة. والدولة الصغرى حجمًا ربما تشعر أن مصالحها القومية تبدأ وتنتهى عند حدودها.. لذا فإن سياستها الخارجية تظل دفاعية دائمًا. أما الدولة الكبرى (كما يقول إيرفينج كريستول) فلديها مصالح أكبر وأكثر. والدول الكبرى ذات الهوية الأيديولوجية - مثل الاتحاد السوفييتى بالأمس والولايات المتحدة اليوم - سوف تجد نفسها مضطرة للالتزام بالدفاع عن نفسها ضد كل القوى غير الديمقراطية.. داخليًا.. وخارجيًا! هذا هو السبب الذى جعل مصلحتنا القومية فى الدفاع عن بريطانيا

وفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية.. وهذا السبب هو الذى يجعلنا نشعر بضرورة الدفاع عن إسرائيل اليوم.. عندما تتعرض للتهديد.. ولا ضرورة عندئذ للدخول فى الحسابات المعقدة للمصالح القومية الأمريكية! وخلف هذا كله هناك حقيقة أخرى مؤكدة.. ألا وهى التفوق العسكرى الهائل للولايات المتحدة فى مواجهة العالم بأسره.. فى أية صورة كانت! هذا التفوق العسكرى لم يخطط له فرد واحد.. وحتى اليوم.. هناك أمريكيون كثيرون لا يتحدثون عن إنجازاتهم وإسهاماتهم فى هذا المجال. بمعنى آخر لقد كان هذا التفوق بسبب حظنا السيئ!! فعلى مدى نصف قرن بعد الحرب العالمية الثانية - وبينما كانت أوروبا تنعم بالسلام ويعتمد الاتحاد السوفيتى إلى حد كبير على الكتلة التابعة له فى خوض معاركه - (تورطت) الولايات المتحدة فى سلسلة من الحروب: الحرب الكورية.. حرب فيتنام.. حرب الخليج.. نزاع كوسوفو.. حرب أفغانستان.. وأخيرًا حرب العراق!!

ونتيجة لذلك.. كما يرى الأب الروحى للمحافظين الجدد.. «زاد إنفاقنا العسكرى بما يتناسب مع نمونا الاقتصادى. وفى ذات الوقت قلصت الدول الأوروبية إنفاقها العسكرى لصالح برامج الرفاهية الاجتماعية. كما أنفق الاتحاد السوفييتى أمواله فى

اتجاه خاطئ، لذا انهارت قوته العسكرية والاقتصادية (مع الاعتراف بأن هناك أسبابًا أخرى للانهيار).

وفجأة.. وبعد عقدين من التراجع الإمبراطورى.. برزت الولايات المتحدة كقوة عالمية فريدة.. وترك سحر هذا المركب من المصالح على مدى نصف قرن أثره على ميزانيتنا العسكرية.. وكذلك فعلت البحوث العلمية والتكنولوجية لقواتنا المسلحة».

ويقول كريستول: «ومع السلطة تأتى المسئوليات.. سواء فكرت أم لم تفكر فيها.. رحبت أم لم ترحب بها. وهناك حقيقة تقول: إذا كانت لديك السلطة والقوة التى لدينا (الولايات المتحدة الآن).. فإما أن تجد فرصًا لاستخدامها.. وإما أن يبحث لك العالم عن تلك الفرص!! ولعلها صدفة تاريخية أن يعيش رئيسنا وإدارته فى تلك البيئة داخل الولايات المتحدة.. على رغم أنهم لم يتوقعوا هذا الدور (؟!) ونتيجة لذلك بدأت حركة المحافظين الجدد تستمتع بحياة جديدة.. فى وقت كان العزاء لها ينشر فى الصحف ووسائل الإعلام»!!

تناقضات حادة

ومن الواضح أن كريستول يحاول صياغة عقيدة المحافظين الجدد فى إطار فلسفى متماسك.. ويحاول أن يقدم المبررات

والأسباب التى جعلتها تهيمن على أمريكا والعالم. ولكن التناقض الأهم الذى وقعت فيه تلك الحركة هو مطالبتها بنشر الديمقراطية والحريات فى الدول الأخرى.. بينما تسير إدارة بوش - إدارة المحافظين الجدد - فى اتجاه معاكس! وإذا كانوا يطالبون بالحقوق والحريات الإنسانية للآخرين، فإن المحكمة الأمريكية العليا قد تجاوزت تلك المبادئ فى الولايات المتحدة.. وخارجها أيضا. والفلوجة ومناطق عديدة فى العراق وأفغانستان وفلسطين شاهدة على قمة التناقض الأمريكى. الفلوجة - وقبلها جنين ودير ياسين وبعدها الشيخ أحمد ياسين والدكتور الرنتيسى - كلها شواهد على النموذج الديمقراطى الحر الذى يقدمونه للعراق؟!.

أما التشكيك فى الحكومة العالمية والمنظمات الدولية فهو مبرر لتأكيد السيطرة الأمريكية على العالم وإبعاد كافة المؤسسات التى تحاول الشعوب الأخرى التعبير - مجرد التعبير - عن آرائها من خلالها. وعلى رغم استخدام واشنطن للأمم المتحدة كغطاء لتبرير وتمرير الكثير من سياساتها واستراتيجياتها.. إلا أنها تسعى للانفراد التام.. والاستعانة بالمنظمات الدولية عند الحاجة فقط!

وقد ذكر (هوارد دين) المرشح الديمقراطى السابق لمنصب الرئاسة: «أعتقد أن الآخرين يستخدمون الرئيس بوش لتحقيق

مصالحهم.. كما أنه أسير مجموعة المحافظين الجدد التى تحيط به. ويبدو أن حركة المحافظين الجدد قد وجدت نفسها فى مأزق بعد انهيار منافسها الأيديولوجى التقليدى.. الاتحاد السوفيتى.. وفقدت مبررًا رئيسيًا لشن حملاتها وحروبها العالمية. كما جاءت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لتدفع أمريكا للقيام بدور توسعى أنشط على الساحة الدولية. وهجمات سبتمبر تلبى أعمق طموحاتهم ومخططاتهم.. خاصة السيطرة على السلطة».

وإجمالا فقد فقد المحافظون الجدد أهم دعامتين للولايات المتحدة، الأولى: تعطيل النصوص القانونية والدستورية بدعوى مكافحة الإرهاب.. والثانية: بداية التركيز العنصرى على الأيديولوجية المسيحية- الصهيونية.. والتخلى عن تنوع الثقافات والحضارات والأديان.. فى إطار البوتقة التى كانت تصهر المجتمع الأمريكى بأسره.. وهاتان الدعاماتان هما سر تفوق أمريكا.. وليست القوة العسكرية.. التى هى نتاج هذا التفوق.. وليست سببه.

❑❑❑

بقى أن نعرف أن إيرفينج كريستول.. الأب الروحى للأشرار.. حاز على الميدالية الرئاسية للحرية من الرئيس بوش عام ٢٠٠٢.. وهو عضو بمعهد أمريكان إنترابرايز (أحد المعاقل

الرئيسية لليمين المتطرف) وهو مؤسس ورئيس تحرير العديد من الدوريات والمجلات، وشارك ضمن سلاح المدفعية الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية. ولعلنا استطعنا سبر غور أفكاره ونظرياته وتاريخه.. حتى الآن!

❑❑❑

الفصل الحادى عشر

سكوتر فى الدائرة الشارونية !

هو مستشار الأمن القومى الأمريكى (الحقيقى).. وراء الكواليس! ويحظى بصلات قوية مع الدوائر الشارونية فى الإدارة الأمريكية، ويرتبط اسمه بالعديد من القضايا والفضائح.. لعل أبرزها وآخرها حجب المعلومات عن هجمات ١١ سبتمبر.. فقد تحدثت إليه السناتور فاينستاين يوم ١٠ سبتمبر عن احتمال وقوع هجوم إرهابى.. فقال لها: «سوف نعود إليك بعد ستة أشهر»؟! ويرتبط اسمه بفضيحتى الجاسوس الإسرائيلى جوناثان بولارد والبليونير اليهودى مارك ريتش أحد ممولى عمليات الموساد!

ولويس ليبى شهير بلقب(سكوتر) أو الدراجة ذات العجلة الواحدة!! كما يعرف أحيانا باسم آخر هو (ديك تشينى- ديك تشينى).. لشدة ارتباطه بنائب الرئيس الأمريكى تشينى.. فهو رئيس هيئة موظفى مكتبه.. ومستشاره للأمن القومى.. حتى إن بعض المراقبين يعتبرونه خليفة محتملا لـ كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومى الأمريكى، ويتجاوز البعض فيعتبرون

(سكوتر) المستشار الفعلى للأمن القومى الأمريكى!! أو مستشار الظل الذى يقوم بهذه المهمة من وراء الكواليس.. ومن هنا تكمن أهمية وخطورة الدور الذى يضطلع به لويس ليبى، وهو أيضا أحد الخبراء والمستشارين المعروفين فى مجال السياسة الخارجية.. داخل إدارة بوش.

ويرتبط لويس ليبى أيضا بعضوية العديد من المؤسسات والهيئات والمعاهد اليمينية المتشددة.. وهو عضو بمجلس العلاقات الخارجية الأمريكية.. وأحد مؤسسى (مشروع القرن الأمريكى الجديد).. وعضو بمركز الدراسات الاستراتيجية والدولية.. كما أن سكوتر من أبرز المحافظين الجدد.. بناة الامبراطورية الأمريكية الجديدة.. وقبل التحاقه بالبيت الأبيض عمل فى شركة للمحاماة.. ومستشارا قانونيا لإحدى لجان الكونجرس الأمريكى.. وتولى العديد من المناصب فى الخارجية والبنتاجون، خاصة منصب نائب مساعد وزير الدفاع للسياسة. وقد تخرج (سكوتر) فى جامعة بيل.. وبعد تخرجه فى مدرسة القانون.. عمل محاميا فى ولاية فيلادلفيا ثم حصل على وظيفة قدمها له أستاذه فى العلوم السياسية.. بول وولفوتيز نائب وزير الدفاع الأمريكى حاليا.. وفى عام ١٩٨١ عمل سكوتر مع وولفويتز فى الخارجية الأمريكية، ثم اتجه

إلى العمل الخاص.. عام ١٩٨٥ ثم عاد للعمل مع وولفووتيز عام ١٩٨٩، ولكن فى البنتاجون.. هذه المرة!

تلميذ وولفوويتز!

ولا يخفى على أحد ارتباط سكوتر الوثيق بفئة صناع الشر من المتطرفين المسيحيين المتحالفين مع اليهود.. وهم الذين أعلنوا التزامهم بسياسة الحرب الاستباقية أو الوقائية، وقادوا الحرب ضد العراق.. من هذا المنطق المزعوم قبل انتخاب بوش.. بل قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وأثناء عمله تحت قيادة ديك تشينى - الذى تولى وزارة الدفاع بعد ذلك - قام ليبى بالتعاون مع أستاذه وولفوويتز بإعداد وثيقة دليل السياسة الدفاعية الأمريكية.. وفيها قام الصديقان الحميمان بصياغة تلك السياسة فى فترة ما بعد الحرب الباردة.. وعبر خلالها عن غضبهما لعدم قيام بوش الأب بالإطاحة بصدام حسين خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وفى (دليل السياسة الدفاعية) أكد (سكوتر) و (وولفويتز) أنه يجب على الولايات المتحدة ردع الدول الأخرى ومنعها من الطموح نحو القيام بأى دور إقليمى أو عالمى أكبر.. وأن تقوم واشنطن باستخدام القوة الاستباقية لمنع الدول الأخرى من تطوير أسلحة الدمار الشامل.. حتى لو تطلب الأمر قيام الولايات المتحدة بهذا الدور بمفردها!

وعلى رغم التصريح بعدم صحة هذه الوثيقة بعد تسريبها (فى إطار لعبة التسريب والنفى والمناورة المكشوفة التى تقوم بها إدارة بوش دائمًا) إلى صحيفة نيويورك تايمز.. على رغم ذلك التسريب فإن كثيرا من أفكار وثيقة وولفويتز - سكوتر خاصة فكرة الحرب الاستباقية)، ظهرت فعلاً فى استراتيجية الأمن القومى التى قدمها الرئيس بوش، كما أن وثيقة (دليل السياسة الدفاعية) شكلت أساس إعلان مبادئ مشروع القرن الأمريكى الجديد الذى تبناه صقور المحافظين الجدد، بمن فيهم تشينى وليبى و وولفوويتز ورامسفيلد.. وآخرون!

ومنذ توليه رئاسة هيئة موظفى نائب الرئيس الأمريكى.. تلقى سكوتر العديد من الهجمات والانتقادات على عدة جبهات! ولعل أبرزها ذلك النقد الشديد الذى تعرض له بسبب دوره فى الدفاع عن البليونير اليهودى مارك ريتش، الذى اتهم بارتكاب جرائم الاحتيال والنصب فى مجال الضرائب.. ثم عفا عنه الرئيس كلينتون بعد ذلك إرضاء للوبى الصهيونى، كما اتهم سكوتر بالتعاون مع تشينى فى ترويج الكثير من المزاعم التى تم استخدامها لشن الحرب على العراق.. بما فى ذلك الزعم بأن صدام حسين التقى محمد عطا قائد خاطفى الطائرات التى نفذت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. بل إن تقرير (لاروش) يتهم إدارة بوش بأنها قد تحولت إلى مستنقع لعملاء شارون.. وأن

هؤلاء العملاء هم الذين يوجهونها من وراء الكواليس.. ويقول التقرير: إن قضية الجاسوس اليهودى الإسرائيلى جوناثان بولارد لم تنته بشكل مطلق.. حيث مازال هناك الكثير من الشخصيات الشارونية داخل وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين.. مازالت متورطة فى قضية الجاسوس بولارد، وقد ظهرت حقائق جديدة فى تلك القضية.. وطالب لاروش بإجراء مراجعة شاملة للشخصيات البارزة فى مجال الأمن القومى الأمريكى.. خاصة فى مكتب نائب الرئيس، وتحديدا رئيس هيئة موظفيه: لويس ليبى سكوتر الذى يحظى بحماية ورعاية وولفويتز منذ ٣٠ عاما.. وامتدت مظلة حمايته لتشمل ديك تشينى!

فهذا الرجل قام بتشكيل ما يشبه مجلس الظل للأمن القومى الأمريكى داخل مكتب تشينى، وهو أحد رعاة المصالح الإسرائيلية داخل البنتاجون ووزارة الخارجية، كما يحظى سكوتر بصلات قوية مع الدوائر الشارونية.. بما فى ذلك شبكة جوناثان بولارد، كما أن ارتباطه بالدفاع عن البليونير اليهودى مارك ريتش أثار الكثير من الشبهات حوله، كما أن (ريتش) نفسه متورط فى فضائح شارون السياسية وحملاته الانتخابية.. بل ومنغمس فى عمليات المافيا الروسية فى أفريقيا، وقام مارك ريتش - من خلال مؤسسته فى إسرائيل -

بتمويل العديد من العمليات الدولية للموساد.. كما أن شريك سكوتر فى شركة المحاماة (ليونارد جارمنت) كان لاعبا فى الجهود الإسرائيلية المدمرة.

وخطورة تلك العصابة الشارونية داخل إدارة بوش أنهم يخططون منذ زمن طويل ويدفعون الولايات المتحدة إلى شن الحرب العالمية الثالثة، انطلاقا من الشرق الأوسط خدمة للاستراتيجية الشارونية المدمرة. وهذا التحول الخطير يؤكد أن إدارة بوش أصبحت تعتنق وتطبق فعلا سياسات هذا العصابة الشريرة.. وهم يرون أن إسرائيل هى الحليف الاستراتيجى الوحيد للولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط.. وأن مصالح الدول العربية تأتى فى مرتبة تالية، وربما لا يتم وضعها فى الحسبان حسب تصورهم.

ومن المؤكد أن وعد بوش المشئوم لشارون يجسد هذا التحول الخطير. ولا يلغى فقط خارطة الطريق.. بل يلغى كل احتمالات التسوية السياسية للصراع العربى الإسرائيلى على المدى القريب على الأقل، وهذا الوعد المكتوب الذى قدمه بوش لشارون ملزم للإدارة الأمريكية القادمة.. حتى لو كان رئيسها ديمقراطيا، فى حال انتخاب جون كيرى ذى الأصول اليهودية.. وكلاهما بوش وكيرى - يزايد على كسب ود اليهود داخل أمريكا وخارجها..

فضائح سكوتر

يرتبط سكوتر أيضا بمسألة تقصير الإدارة الأمريكية فى معالجة هجمات ١١ سبتمبر قبل وقوعها.. بل اتهام البعض للإدارة بتعمد حجب المعلومات الخاصة بتلك الهجمات وعدم التحرك السريع وفى الوقت المناسب لمنعها.. وقد أكدت السناتور ديانى فاينستاين عضو الكونجرس أن أعضاء بهيئة موظفى الإدارة الأمريكية أبلغوها بأن هناك احتمالاً كبيراً لوقوع هجوم إرهابى قبل أحداث سبتمبر.

وأضافت فاينستاين أنها تحدثت إلى لويس ليبى سكوتر يوم ١٠ سبتمبر (قبل وقوع الهجمات بيوم واحد) وعبرت له عن قلقها ومخاوفها من تلك المعلومات.. ورد عليها ليبى قائلا: «سنعود إليك بعد ستة أشهر».. أما خطة إدارة بوش لمواجهة بن لادن، فقد صدر توجيه رئاسى يقضى بإقرار برنامج شامل للمخابرات الأمريكية (CIA) للعمل ضد طالبان.. وهى الخطة التى أصبحت فيما بعد أساس رد بوش على هجمات ١١ سبتمبر.. وقد أقرها بوش يوم ٤ سبتمبر ٢٠٠١، ولكنها بقيت كى يراجعها الرئيس الأمريكى بعد عودته من رحلته إلى فلوريدا.. بدأها يوم ١٠ سبتمبر!!

كما وجه كل من توم داشل وجوزيف بايدن وكارل ليفين وتشارلز شوم - أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى - وجهوا رسالة إلى

الرئيس بوش عبروا فيها عن قلقهم إزاء الطريقة التى تم بها تسريب اسم فاليرى بالمى عميلة الـ CIA.. وانتقد الأعضاء الأربعة الخطوات والأساليب الخاطئة التى برزت خلال تلك الفضيحة، ومن بينها تصريح المتحدث باسم البيت الأبيض ستوك مكليلان بأن المسئولين الثلاثة الذين ارتبطت أسماؤهم بتلك القضية هم: كارل روف.. ولويس ليبى (سكوتر).. ودااليوت أبرامز، وصرح مكليلان بأنه تحدث على انفراد مع الأشخاص الثلاثة.. وأكد أنهم لم يتورطوا فى تسريب تلك المعلومات السرية.. ولم يتغاضوا عنها كى تتسرب!

وأضاف أعضاء الكونجرس البارزون فى خطابهم إلى الرئيس بوش: من الواضح أن المتحدثين الإعلاميين ليست لديهم الخبرة القانونية لاستجواب المشتبهين المحتملين، وليست لديهم القدرة على تقويم واستخلاص النتائج حول مشروعية سلوك هؤلاء الموظفين الثلاثة.. إضافة إلى ذلك فإن البيت الأبيض بإصداره هذا البيان وضع وزارة العدل فى موقف يلزمها ليس فقط بمعرفة ما حدث.. بل وإيضاح إذا ما كان ذلك متناقضا مع الموقف المعلن للبيت الأبيض.

وصرح مسئولون بوزارة العدل الأمريكية بأن هناك أدلة قوية تشير إلى احتمال ارتكاب سلوك جنائى من قبل اثنين من موظفى مكتب نائب الرئيس الأمريكى فيما يتعلق بقضية

تسريب اسم عميلة CIA فاليرى بالمى، وقد يؤدى هذا التحقيق المتواصل الى توجيه الاتهام إليهما.. وقالت تلك المصادر: إن جون حنا ولويس ليبى هما الشخصان المشتبه فيهما فى تلك القضية.. ولم يرد أى منهما على طلبات الاستدعاء التى وصلتهما، وذكر ذلك المصدر ان استراتيجية مكتب التحقيقات الفيدرالى هى التوضيح لحنا بأنه يواجه احتمالا حقيقيا بالسجن كوسيلة للضغط عليه لتحديد الأشخاص (الأعلى منه) المتورطين فى تلك القضية!

وكلنا يتذكر قضية فاليرى بالمى عميلة الـ CIA التى عملت فى ادارة أسلحة الدمار الشامل بالمخابرات الامريكية، وزوجها هو السفير جوزيف ويلسون الذى عمل سفيرا للولايات المتحدة فى الجابون.. عاصمة النيجر، وكان آخر أرفع دبلوماسى أمريكى يعمل فى بغداد حتى أوائل التسعينات.. وتولى فى عهد كلينتون الشئون الافريقية حتى عام ١٩٩٨، ثم قامت إدارة بوش بايفاده الى النيجر للتحقيق فى ادعاءات الامريكية بأن العراق قد سعى لشراء اليورانيوم من تلك الدولة الافريقية. ثم عاد السفير ويلسون ليدلى بالشهادة أمام الكونجرس بشدة ويؤكد أن العراق لم يسع لشراء اليورانيوم. وقد اشار هذا التقرير الفاجئ حفيظة صقور الادارة الامريكية الذين سعوا الى تدمير سمعته ومستقبله العملى من خلال الكشف عن اسم زوجته فاليرى بالمى.. عميلة الـ CIA..

وهكذا تبلغ لعبة السياسة والمخابرات ذروتها المكشوفة فى هذه العملية!

كشف الصحفى والتر بنكوس محرر الواشنطن بوست ان هناك دبلوماسيا - غير معروف - قدم تقريرا سلبيا حول مساعى العراق لشراء اليورانيوم من النيجر.

وفى يوم ٦ يوليو ٢٠٠٢ - وبعد تصاعد الاتهامات المغرضة لإدارة بوش باستغلال المعلومات الاستخبارتية لحشد الراى العام الأمريكى لتأييد الحرب ضد العراق - نشر ويلسون مقالا فى الواشنطن بوست أيضا اتهم فيه الإدارة الأمريكية بتزييف الحقائق متسائلا: ما هى القضايا الاخرى التى يكذبون فيها؟!

وكما يقول أحد مسئولى الإدارة الأمريكية فإن البيت الابيض تعرض لموقف شديد الحرج.. وبدأ الاتصال بستة صحفيين لنزع ونشر روايات وأخبار هدفها تشويه صورة السفير ويلسون.. كما أكدت نيويورك تايمز ووسائل اعلامية أخرى.. وقال والتر بنكوس: ان السبب فى الكشف عن فاليرى بالمى عميلة الـ CIA وزوجة السفير ويلسون هو السعى لتدمير مصداقية ويلسون. مع العلم بأنه متخصص فى الشئون الافريقية ويحظى بمصداقية عالية فى هذا المجال. ومن هنا فإن سفره الى النيجر فى مارس ٢٠٠٢ ثم عودته ليؤكد كذب مزاعم إدارة بوش يجب النظر إليه بمصداقية عالية أيضا.

وبعد أيام من إعلانه التقرير.. نشر الصحفى الشهير روبرت نوفاك فى عموده اسم زوجة ويلسون باعتبارها عميلة الـ CIA. وتم تسريب تلك المعلومات من خلال لويس ليبى سكوتر وجون حنا!! لنرى جانبا آخر من لعبة الصحافة والسياسة.. حيث تتفاعل المصالح والارتباطات والإغراءات - وربما التهديدات - من وراء الكواليس لصناعة النجوم.. وتدمير آخرين، ناهيك عن انتهاك قانون أمريكى صدر عام ١٩٨٢ يحظر الكشف عن هوية العملاء الأمريكيين!

وهكذا.. فإن قصة (سكوتر) تكشف واحدا من صناع الشر الذين قد لا نعرفهم.. ولو سمعنا عنهم - بشكل عرضى - قد لا نفهم خفاياهم وخباياهم وأدوارهم الحقيقية ضدنا.. على رغم بعدهم عنا جغرافيًا.

❑❑❑

الفصل الثانى عشر

ترسانة (أشكروفت) الاستبدادية!

«إن سياسات مكافحة الإرهاب التى تنتهك الحقوق الأساسية - مثل ملاحقة واحتجاز الأبرياء والتجسس على النشطاء السياسيين المسالمين - لا تجعل أمريكا أقل أمناً فقط.. بل إنها تجعلنا أكثر عرضة للإرهاب).. هذا جانب من شهادة مسئولى اتحاد الحريات المدنية الأمريكية.. تعليقاً على الوضع المأساوى للحريات المدنية والدستورية فى بلاد العم سام!

حدث هذا - ويحدث - فى عهد جون أشكروفت وزير (العدل) الأمريكى الذى يؤدى صلوات يومية داخل وزارته ويعقد جلسات لدراسة الإنجيل.. وأطلق العديد من المبادرات والبرامج والقوانين السالبة للحريات.. ومن بينها برنامج لتدريب مليون (متطوع) على التجسس وتقديم التقارير حول أنشطة الإرهابيين المحتملين فى الولايات المتحدة!

وفى أعقاب هجمات سبتمبر ٢٠٠١.. حاول بوش الابتعاد - بالتصريحات فقط - عن الهجوم على العرب والمسلمين وحذر من العقاب الجماعى لهم بسبب جريمة ارتكبها ١٩ شخصاً. ولكن

الواقع الذى نراه الآن يشير إلى عكس ذلك تماما.. بعدما يزيد على عامين ونصف العام على أحداث سبتمبر. فالأفعال تتناقض مع الأقوال كما يؤكد أنتونى روميرو المدير التنفيذى لاتحاد الحريات المدنية الأمريكى.. مشيراً إلى أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب سرعان ما تحولت إلى حرب ضد المهاجرين. بل إن تقرير الوزارة العدل التى يرأسها جون أشكروفت نفسه أدان المعاملة القاسية لنحو ٧٦٢ مهاجراً غير شرعى.. كجزء من خطة الوزارة التى تلت هجمات سبتمبر.

ولم تكتف ادارة بوش بملاحقة ومعاقبة المسلمين الذين يخالفون قوانين الهجرة.. بل انها انتهكت التعديل الخامس فى الدستور الأمريكى الذى يسرى ويطبق على كل المقيمين فى الولايات المتحدة.. كما انها قامت وما زالت تعتقل طالبى اللجوء السياسى مخالفة الاعراف والقوانين الدولية.. بل انها مدت تلك الاجراءات والقوانين الاستثنائية الاستبدادية لتشمل المقيمين الشرعيين على أراضيها.

ترسانة أشكروفت!

ويأتى هذا كله فى إطار مبادرات وخطط وبرامج وقوانين وزير العدل جون اشكروفت. وعلى رغم ما تم إعلانه منها وعنها.. إلا أن جانبا آخر منها ما زال تحيطه السرية الكثيفة.

ونظام الأمن القومى لتسجيل الداخلين والخارجين إلى ومن الولايات المتحدة يؤثر على فئتين من البشر هناك:

●● الفئة الأولى تشمل غير المواطنين وغير حائزى البطاقة الخضراء من ٢٥ دولة.. حيث جرى استدعاء جماعى ودون إخطار مسبق لمئات الآلاف من حاملى تأشيرات - طالبا كان أو رجل أعمال أو زائر وعدم الرضوخ لهذا الأمر قد يحرم الشخص المخالف من دخول الولايات المتحدة نهائيا. وعندما استجاب نحو ٨٣ ألفا لهذا النظام الجائر بمن فيهم المهاجرون غير الشرعيين الذين كانوا يأملون توفيق أوضاعهم تعرضوا للخداع وتم إبعاد وطرد نحو ١٢ ألفا منهم إلى خارج الولايات المتحدة.. وخوفا من مخاطر الاعتقال هرب آلاف آخرون.. وعاد الآلاف إلى بلادهم أو سعوا للحصول على اللجوء السياسى إلى بلاد غربية أخرى.. رفضتهم أيضا!!

●● أما الفئة الثانية التى تأثرت بنظام التسجيل فهم القادمون من نحو ٣٢ بلدا اسلاميا وعربيا.. تعتبرها واشنطن خطرا عليها!! مثل سوريا وايران والسودان.. وليبيا والعراق.. الى آخر القائمة التى تزيد.. ولا تنقص! ويعلق مارشال فيتز من رابطة محامى الهجرة الامريكية على هذه الاوضاع المأساوية قائلا: ربما لا يكون الكثيرون قد زاروا الولايات المتحدة من قبل.. وعليهم أن يعلموا أن مفتشى الموانئ والمطارات لديهم

صلاحيات وسلطات واسعة لتقرير من يسمح لهم بالدخول أو عدم الدخول إلى أمريكا. وقد قاموا باعتقال ما يقرب من ٤٧ ألف زائر.. لم يكتشف منهم سوى (١١ مشتبهاً) لديهم صلات (محتملة) مع الإرهابيين!! ولم يتم توجيه الاتهام لأى من هؤلاء. كما تم إجبار الملايين من غير المواطنين ممن يحملون إقامات دائمة على إبلاغ السلطات بأى تغيير فى عناوينهم أو بياناتهم المسجلة. وعندما قام مئات الآلاف منهم بذلك لم تستطع إدارة الهجرة التعامل مع هذا العدد الضخم.. فقد تلقى أحد المكاتب نحو ٢٠٠ ألف طلب.. وتعرض كل شخص منهم لخطر الإبعاد من الولايات المتحدة بسبب سوء نظام التوثيق بإدارة الهجرة التابعة لوزارة العدل».

كما امتدت عمليات ملاحقة وتفتيش أماكن العمل الحساسة - بما فى ذلك المطارات - لتشمل الشركات الخاصة التى توفر السلع والخدمات للمطارات وخطوط الطيران.. وتمت ملاحقة واستجواب أشخاص لم تطأ أقدامهم أى مطار على الإطلاق! يقول روميرو: «لقد كانت الاستجوابات تشمل سؤال هؤلاء الأشخاص حول حساباتهم المصرفية وأرقام بطاقات الائتمان وحول ذهابهم إلى المساجد لأداء الصلوات بل وحول آرائهم فى الولايات المتحدة الأمريكية (قمة الديمقراطية والحرية التى يعدنا بها بوش) خلافاً للدستور الأمريكى الذى يفترض أنه

يضمن حرية الحديث والعبادة. بل وقام مكتب التحقيقات الفيدرالى FBI باستجواب آلاف العرب والمسلمين ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ و٣٣ عاماً.. واعتقل نحو ٢٠ شخصاً.. لم يعثر بينهم على أى إرهابى»؟!

تحطيم الحريات

وخلال الحرب على العراق تم تنفيذ عملية (درع الحرية) بهدف تأمين وحماية أمريكا أثناء المعارك. (ويبدو أن الأمريكيين مهووسون بالشعارات والألفاظ التى تتناقض تماماً مع أفعالهم!) وحظى المسئولون عن تلك العملية بسلطات واسعة امتدت لتشمل اعتقال أى شخص يطلب اللجوء السياسى من ٣٣ بلداً.. بما فى ذلك القادمين من هاييتى التى كان يحكمها رئيس (منتخب) أطاحت به أمريكا فيما بعد.. ولم يكن بها إرهابيون أيضاً. وعلق وزير (العدل) أشكروفت على ذلك قائلاً: إن هذا لا يعنى أن القادمين من هاييتى يمثلون خطراً علينا.. ولكن هذه الاعتقالات تمثل رسالة وإشارة لطالبى اللجوء السياسى بألا يأتوا إلى الولايات المتحدة!! ويرد روميرو: إن هذه الإجراءات لم تجعل بلادنا أكثر أمنا.. فبدلاً من استهداف الإرهابيين.. فإنهم يستهدفون المهاجرين!

ويعتبر هذا تحولا جذريا فى التاريخ الأمريكى وفى الاستراتيجية الأمريكية التى تقوم نهضتها وتفوقها على المهاجرين والتنوع العرقى والحضارى. وكان المسلمون وما زالوا أكثر الجماعات التى تأثرت بهذا التغيير الجذرى.. حيث تم اعتقال وطرد الآلاف منهم. بل ان هذه العقلية الدكتاتورية المنغلقة تعتبر المسلمين الذين يعيشون فى الولايات المتحدة.. أو الراغبين فى زيارتها.. إرهابيين محتملين.. بعد أحداث سبتمبر. وقد وضعت خدمة الهجرة والتطبيع التابعة لوزارة العدل (INS) التى يرأسها أشكروفت نظاما صارما للتسجيل بغرض الحصول على بصمات وصور وكل المعلومات الخاصة بزوار الولايات المتحدة.. ويجب عليهم تقديم كل الوثائق والمعلومات المطلوبة خلال عشرة أيام من وصولهم إلى بلاد العم سام! كما يجب عليهم تقديم كل ما يؤكد التزامهم وانصياعهم التام لتعليمات ونظام التسجيل الجديد.. بل يجب عليهم تقديم تقرير (سنوى) وشخصى لإدارة الهجرة واخطارها بأى تغيير فى العنوان أو الوظيفة خلال عشرة أيام! وأخيرا يجب على هؤلاء الخاضعين لاحكام العم سام أن يقدموا تقريرا للمفتش المسئول بإدارة الهجرة عند مغادرة الولايات المتحدة، حيث يتم اعطاء كل منهم رقما لهوية الفيش والتشبيه.. يتم تسجيله فى جواز السفر!!

ومنذ توليه منصب وزير العدل فى إدارة بوش شن أشكروفت هجوماً شرساً على الحريات المدنية.. وانعكست تلك الحملات المنظمة على كل المجالات.. بدءاً من قضايا الاستنساخ.. ومروراً بالحريات الدينية، وحرية التعبير وحقوق الدفاع عن المجرمين بل والحق فى الحصول على الفرص المتساوية. كما عمل أشكروفت - وبشكل منهجى - على إلغاء سلطة القضاء الفيدرالى. وقام أشكروفت بتعيين شخصيات ذات سجلات ضعيفة فى مجال الحقوق المدنية.. قام بتعيينهم فى مناصب رفيعة بوزارة العدل. بل إنه لم يحاول استشارة واستطلاع وجهات نظر جماعات المصالح قبل اجراء تلك التغييرات الجذرية على الحريات المدنية والقانونية.. بل إنه تجاهل أوامر المحاكم التى لا تتوافق مع توجهات وزارته. ويتساءل البعض: ماذا فعل وزير العدل فى إطار حملته لخرق وتجاوز الحريات المدنية الأمريكية بعد ١١ سبتمبر؟

لقد ضغط اشكروفت على الكونجرس من أجل الإسراع بإقرار القوانين الاستبدادية، وفى مقدمتها القانون الوطنى أو ما يسمى (Patriot Act) الذى منح الوكالات الفيدرالية سلطات مذهلة.. وضاعفت صلاحياتها فى التجسس والبحث والاعتقال والتنصت الحكومى. كما قام هذا القانون بتوسيع صلاحيات الشرطة..

حتى فى المجالات التى لا تتصل بالإرهاب. ويسمح (القانون الوطنى) للوكالات الفيدرالية بالمشاركة وتبادل المعلومات حول المواطنين الأمريكيين. وخلال إحدى شهاداته بالكونجرس أعلن أشكروفت: «إن أى شخص يشك أو يشكك فى أعماله إنما يساعد الإرهابيين ويقدم الدعم لأعداء الولايات المتحدة»!!

كما منح وزير (العدل) مسئولى وزارته سلطة التجسس على الحوارات التى تدور بين المحامين وعملائهم داخل الحجز الفيدرالى.. ويشمل ذلك المحتجزين غير المتهمين جنائياً.. مخالفاً نصوص التعديلات: الأولى والرابعة والخامسة والسادسة فى الدستور الأمريكى. كما قامت وزارته باعتقال أكثر من ١٢٠٠ شخص من العرب والمسلمين استناداً إلى انتهاكات مسبقة لنظم الهجرة.. ورفض الإفصاح عن هويتهم أو أماكن أو أسباب اعتقالهم!

ومن المؤكد أن استجواب آلاف العرب والمسلمين واستهدافهم أكثر من غيرهم يفضح الوجه العنصرى الحقيقى لسياسة أشكروفت، كما أنه يكشف جانباً آخر من جوانب التمييز الدينى داخل وخارج وزاراته.. هذه الوزارة التى تشهد يومياً صلوات ودراسة الإنجيل لأول مرة بعد أحداث ١١ سبتمبر. ولعل هذا يبين جانباً آخر من هوية جون أشكروفت الدينية المتعصبة.. فهو

عضو جميعة الرب ويلتقى فى الاتجاه الفكرى والأيديولوجى مع المسيحيين المتشددين داخل الإدارة وخارجها. وهو الذى يقف وراء إعادة صياغة القوانين التى تحد من تمويل الجماعات الدينية.. خاصة الإسلامية منها.

وقد جاءت ممارسات الطرد والإبعاد الانتقائى للعرب والمسلمين من الأراضى الأمريكية لتشكل إضافة أخرى لسجل أشكروفت، الحافل بالانتهاكات للحريات الدستورية. كما أنه ساعد على صياغة الأمر الرئاسى الذى قضى بتشكيل وإنشاء المحاكم العسكرية السرية التى تجاوزت النظام القضائى الأمريكى وانتهكت دستور البلاد.

كما طالب أشكروفت أجهزة ومؤسسات فرض القانون وتطبيقه بالسعى لطلب تمويل فيدرالى لتوسيع وزيادة إمكاناتها على تحديد هويات الإرهابيين والتجسس عليهم داخل التجمعات الأمريكية. وأطلق مبادرة فى أغسطس ٢٠٠٢ أطلق عليها اسم TIPS أو (نظام الوقاية والمعلومات الإرهابية) الذى يهدف إلى تجنيد مليون متطوع (بمن فى ذلك عمال البريد والخدمات ومن شابههم) وتشجيعهم على تقديم التقارير حول أنشطة الإرهابيين المحتملين. كما واصل خداع وتضليل الرأى العام الأمريكى حول نطاق وتأثير القانون الوطنى

الأمريكى.. من خلال جولات قام بها فى ١٦ ولاية و١٨ مدينة أمريكية على مدى ثلاثة أسابيع بهدف حشد تأييد الرأى العام لهذا القانون الاستبدادى. وشجع أشكروفت ٩٣ من المدعين العموميين فى الولايات المتحدة على ممارسة الضغوط على أعضاء الكونجرس الذين صوتوا لصالح القانون الخاص بحظر استخدام تمويل وزارة العدل فى الترخيص بالتجسس والتنصت!

تشديد القيود

ولم يكتف أشكروفت بالقانون الوطنى الأول.. بل أصدر القانون الوطنى الثانى الذى منح سلطات ساحقة للإدارة الأمريكية والغى الكثير من إجراءات الفحص التى كانت تتعلق بعمليات التجسس والتنصت والاحتجاز وإجراءات القضاء الجنائى. والقانون الجديد شديد التعقيد ويؤكد الغاء المراجعات القضائية لعمليات الرقابة والتجسس.. مثل ازالة القيود القضائية التى كانت مفروضة على قيام الشرطة بالتجسس على الأنشطة السياسية والدينية، والسماح للحكومة بالحصول على الحسابات المصرفية والسجلات (المكتبية) سرا ودون اشراف قضائى، والسماح بالتنصت دون صدور امر من المحكمة.

أيضا شمل قانون أشكروفت الجديد السماح للحكومة بالعمل السرى ومنحها سلطة الاعتقالات السرية وفرض قيود شديدة وقاسية حول الإعلان عن معلومات الأخطار التى يتعرض لها المجتمع بواسطة المصانع الكيميائية.. وغيرها من المصانع! كما تم توسيع نطاق تعريف الإرهاب - وهو موسع أصلا! - ليشمل المنظمات والجهات التى تشارك فى أى عصيان مدنى.. وأن تكون تلك المنظمات معرضة لخطر التنصت الحكومى والاستيلاء على أصولها.. بل إن من يؤيدونها يخاطرون بفقدان المواطنة الأمريكية!!

ويقول اتحاد الحريات المدنية الأمريكى: إن سياسات مكافحة الإرهاب التى تنتهك الحقوق الأساسية - مثل ملاحقة واحتجاز الأبرياء والتجسس على النشطاء السياسيين المسالمين - لا تجعل أمريكا أقل أمنا فقط.. بل إنها تجعلها أكثر عرضة للإرهاب.. كما أن هذه السياسات تهدر الموارد الحكومية النادرة التى يجب استخدامها لمواجهة المجرمين الحقيقيين.. كما انها غرست بذور عدم الثقة داخل الجاليات والتجمعات التى قد ترغب فى مساعدة الإدارة على اعتقال الإرهابيين.

وفى رسالة وجهها كولين رووى العميل الخاص لمكتب التحقيقات الفيدرالى إلى مديره.. قال: إن الغالبية الساحقة ممن

تم اعتقالهم بعد هجمات ١١ سبتمبر.. لم يكونوا إرهابيين. كما أن مقار الـ FBI طالبت وشجعت بعد هجمات سبتمبر بإجراء المزيد من الاعتقالات لأهداف تتعلق بالعلاقات العامة.. أساساً. كما تمت مطالبة المكاتب الميدانية للـ FBI بالإبلاغ يومياً عن عدد المعتقلين لإصدار التصريحات اللازمة حول مدى تقدمنا فى مكافحة الإرهاب!! وإذا كان من الصعب الحفاظ على تحقيق التوازن بين الحريات المدنية للأفراد وبين الحاجة لإجراء تحقيق فعال فى الظروف الطبيعية.. فإن ذلك سيكون أصعب مع تصاعد الإرهاب والحروب. لذا فإننى أطالب بالحرص والحذر لتجنب الضغط من أجل اعتقال المشتبه فيهم.. خاصة ذوى الأصول العربية.

ويجب ألا ننسى معتقل جوانتانامو الذى يعتبر عاراً فى جبين العدالة الأمريكية.. حيث تم التواطؤ منذ البداية لإقامة هذا المعتقل خارج الأراضى الأمريكية بهدف حرمان المعتقلين من أى حقوق أساسية للدفاع وتحسين ظروف الاعتقال. وإذا كانت المحكمة الدستورية العليا قد أصدرت قراراً يمنح هؤلاء المعتقلين بعض الحقوق.. فإن تلك القضية يمكن أن تعرض الجنود الأمريكيين المعتقلين فى الخارج - ولو مستقبلاً - لوضع مماثل. وقد علق ستيفن شابيرو، المدير القانونى لاتحاد الحريات المدنية الأمريكى على وضعهم قائلاً: «إنهم فى مأزق قانونى.. مع انعدام

القوانين التى تحميهم وغياب المحاكم التى يمكن أن تسمع لدعاواهم.. بل إن نظامنا القانونى لا يجعل أى إنسان يثق فيه.. حتى الرئيس الأمريكى نفسه.. مع استمرار هذه السلطات المنفلتة التى تحرم الفرد من حرياته».

وبعد هذا السجل الاستبدادى الحافل.. وتلك الترسانة المدججة بالأسلحة القانونية المفصلة.. لا يحق لأمريكا.. ولا لإدارة بوش - تحديداً - الحديث عن الحرية والديمقراطية.. وربما كان أولى بالأمريكيين أن يحرروا أنفسهم قبل السعى لتحرير الآخرين بالطائرات والدبابات والصواريخ!!

❑❑❑

الفصل الثالث عشر

سقوط استراتيجية رامسفيلد!

نحن نعمل فى مناطق يحظى بها المهاجم (العدو) بميزة كبرى.. حيث يستطيع الهجوم فى أية لحظة وفى أى مكان.. ومستخدماً أى تكنيك. والخيار الوحيد المتاح أمامنا هو ان نطارد هؤلاء الإرهابيين ونهاجمهم حيثما كانوا.. وهذه مهمة صعبة جدا.. وتتطلب قدرات تفوق قدرات البنتاجون وحده .. بهذه الكلمات يشرح وزير الدفاع الامريكى دونالد رامسفيلد أبعاد المأزق الذى وقعت فيه أمريكا.. وهو يعترف ضمنا بصعوبة المواجهة.. وعدم ضمان نتائجها.

ورامسفيلد رائد التغيير الاستراتيجى الذى شهدته الولايات المتحدة فى مجال الدفاع.. بل فى مجالات أخرى عديدة ترتبط به وتؤثر فيه. وهو فى البداية والنهاية يتحمل سقوط تلك الاستراتيجية أو النظرية التى اصطدمت بصخرة المقاومة العراقية.. ويتحمل سقوطها أخلاقيا ومعنويا فى سجن أبو غريب.. وما خفى كان أعظم!!

وعلى مدى العقود الأربعة الماضية.. كان دونالد رامسفيلد يقوم بدور (المنقذ) للولايات المتحدة.. سواء كان فى داخل الإدارة أم خارجها! كان يتم استدعاؤه خلال الأزمات والشدائد.. اعترافا ببراعته وحنكته وخبراته الطويلة المتراكمة. وللأمانة فإنه تولى منصبه قبل هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بتسعة أشهر.. أى قبل أخطر الأزمات التى تواجهها الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية. فهل هى مصادفة أن يتم استدعاؤه لهذا المنصب الخطير.. قبل الأزمة؟!.. أو أن شيئا كان يتم إعداده وراء الكواليس.. فى انتظار أزمة طارئة أو مصطنعة؟! عموما فقد تولى رامسفيلد مهمة صعبة خلال إدارة الرئيس جيرالد فورد.. ففى أعقاب فضيحة ووترجيت قام رامسفيلد برئاسة هيئة موظفى البيت الأبيض.. محاولا استعادة وحدتها وهيبتها التى لوثتها الفضيحة.. فهل كان رامسفيلد الرجل المناسب.. فى الوقت المناسب.. وللمهمة المناسبة.. دائما؟!

أصغر وزير دفاع

رامسفيلد ذو تاريخ عسكرى ومدنى وحكومى حافل.. فقد عمل طيارا بحريا.. وكان وزير الدفاع الأمريكى رقم (١٣).. وهو أصغر وزير للدفاع فى تاريخ الولايات المتحدة.. كما تولى رئاسة هيئة موظفى البيت الأبيض.. وعمل سفيرا للولايات المتحدة

لدى حلف الناتو.. وعضواً بالكونجرس لدورات عدة.. ورئيساً لعدة شركات كبرى. وقد تخرج فى جامعة برينستاون وخدم فى البحرية فيما بين عامى ٥٤ - ١٩٥٧. وتولى وزارة الدفاع عام ١٩٧٥ (للمرة الأولى).. وانتخب لعضوية مجلس النواب عام ١٩٦٢ وكان عمره ٣٠ عاماً فقط واستمر به حتى عام ١٩٦٨ ليلتحق بعدة مناصب رسمية. وأصبح سفيراً لدى الناتو عام ١٩٧٣. وبعد انتهاء ولايته بوزارة الدفاع عام ١٩٧٧.. اتجه إلى العمل الخاص وتولى قيادة عدة شركات فى مجالى الأدوية والتكنولوجيا. وكان مبعوثاً خاصاً للرئيس الأمريكى إلى الشرق الأوسط فيما بين عامى ٨٣ - ١٩٨٤.

رسمياً.. يقوم رامسفيلد الآن بقيادة حروب الولايات المتحدة ضد ما يسمى بالإرهاب فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر التى أحدثت تغييراً عميقاً فى استراتيجيات البنتاجون. وفى إطار هذا التغيير الراديكالى.. قام البنتاجون بتطوير استراتيجية دفاعية جديدة.. تقوم على إلغاء نهج الاستحواذ على أعداد ضخمة من القوات.. واستبداله باستراتيجية جديدة أنسب للقرن الحادى والعشرين. واقترح رامسفيلد على الرئيس بوش إجراء إعادة تنظيم شامل لهيكل القيادة العالمية الأمريكية.. وعرفت باسم (خطة القيادة الموحدة) التى نتج عنها تأسيس: (القيادة الشمالية الأمريكية) و(القيادة الاستراتيجية

الأمريكية). وتقوم الأخيرة بالمهام التى كانت تقوم بها سابقاً (القيادة الفضائية والاستراتيجية) التى تم حلها. وفى عهد رامسفيلد.. قام البنتاجون بإعادة تركيز القدرات الفضائية الأمريكية.. وصاغت مفهوماً جديداً للردع الاستراتيجى بما يسهم فى تدعيم الأمن الأمريكى مع تقليل الأسلحة النووية الاستراتيجية. ولزيادة قدرات الردع.. أعاد رامسفيلد تنظيم برنامج بحوث واختيارات الدفاع الصاروخى (الذى كان يعرف باسم حرب النجوم).. وحظى البرنامج بمزيد من الحيوية والنشاط.. خاصة مع تحريره من قيود معاهدة الصواريخ الباليستية.

واستراتيجية رامسفيلد- فى جوهرها- تقوم على الهجوم الاستباقى أو الوقائى.. بمعنى: اضرب عدوك (سواء كان دولاً مارقة أم منظمات إرهابية أم أفرادا) قبل أن يضربك. ولتنفيذ هذه الاستراتيجية فإن خطط الجيش الأمريكى تشمل نشر أسلحة نووية صغيرة (تكتيكية). ولحماية الولايات المتحدة من عمليات الانتقام المحتملة تم نشر مظلة مضادة للصواريخ (الدرع الصاروخى). ويقف رامسفيلد وراء إعطاء قوة الدفع لتلك الخطة.

وعندما عرض الرئيس الأمريكى تصوره لحرب الفضاء فى مايو ٢٠٠١ (قبل أحداث سبتمبر).. قال: نحن فى حاجة إلى وضع

إطار جديد يتيح لنا إنشاء (قاعات صاروخية لمواجهة التهديدات المحتملة لعالم اليوم.. ولا توجد أية معاهدة تمنعنا من مواجهة التهديدات التى نتعرض لها اليوم). وقام رامسفيلد بشرح خطة بوش قائلاً: (تحت قيادة الرئيس بوش قمنا بإعادة الحيوية لبحث الدفاع الصاروخى.. سواء فى مجالات التطوير أم الاختبارات.. وقد تم بالفعل نشر أولى الدفاعات الصاروخية التجريبية). وقد جاءت استراتيجية الهجمات الاستباقية لتلغى كل نظريات الاحتواء والاتفاقات والمعاهدات التى شكلت جوهر العمل الدبلوماسى الدولى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

الفوضى المنظمة!!

وقد يؤدى هذا الوضع الجديد الخطير.. مع إلغاء المعاهدات والاتفاقات وتوسيع نطاق الحرب ليشمل أغلب أنحاء العالم.. وكل مكان وكل إنسان تعتقد واشنطن - وواشنطن فقط - أنه إرهابى أو يضم إرهابيين. هذا الوضع الجديد الخطير يمكن أن يؤدى إلى ما يشبه الفوضى الشاملة أو بمعنى أدق الفوضى المخططة والمنظمة! وما يحدث فى العراق هو أبرز مثال على ذلك، فالهدف الاستراتيجى هو إشاعة الفوضى وعدم الاستقرار فى قلب الأعداء.. ونقل الحرب إلى أراضيهم.. بل فى أعماقها..

ووفق استراتيجية رامسفيلد.. فإن مظلة الدفاع الصاروخى ليست مجرد مشروع بحثى أنيق.. ولكنه وسيلة لضمان أمن الولايات المتحدة.. أى إن الفضاء هو أحد المحاور الأساسية للاستراتيجية العسكرية الأمريكية الجديدة. وكما أكد رامسفيلد: أكثر من أية دولة تعتمد الولايات المتحدة على الفضاء لضمان أمنها.. واستمرارها مزدهرة. ويجب علينا أن ننتبه من احتمالات الخطر التى نتعرض لها وأن نعمل على حماية ونشر مصالحنا فى الفضاء.

لذا فإن تلك الخطط الحربية الفضائية تشمل إمكانية استخدام الأقمار الصناعية والشبكات الإلكترونية لإسقاط الصواريخ الأرضية.. وأيضا لإسقاط الأقمار المعادية. وكما قال وزير الدفاع الأمريكى: فإن أحد التحولات الرئيسية التى يشهدها البنتاجون تركز على سلسلة من الأهداف.. من بينها الحفاظ على حرية الوصول إلى الفضاء دون عوائق وحماية القدرات الفضائية الأمريكية من هجمات الأعداء. ونحن نريد الاستعداد لأشكال جديدة من الإرهاب.. بما فى ذلك الهجوم على قدراتنا الفضائية.. والهجمات الإليكترونية على شبكاتنا المعلوماتية على صواريخ كروز والصواريخ الباليستية والأسلحة الكيماوية والبيولوجية والنووية. وفى ذات الوقت يجب أن نعمل

على تأكيد مجالات تفوقنا وتميزنا.. مثل قدرتنا على نشر قواتنا العسكرية لمسافات بعيدة.. ودقة التصويب التى تحظى بها أسلحتنا.. واستخباراتنا الفضائية.. وقدراتنا الكامنة فى أعماق البحار والمحيطات».

وفى مقابلة أخيرة مع رابطة الصحف الأمريكية كشف رامسفيلد عن جوانب ضعف استراتيجيته.. وعوامل قوة العدو.. قائلاً: «لننظر إلى نوع القدرات التى نواجهها.. وهى جوهرية. وإذا فكرنا ملياً فى هذا الأمر فسوف نعلم أن وزارتنا (البنتاجون) منظمة ومدربة ومجهزة لقتال الجيوش الكبرى.. والبحريات الكبرى.. والقوات الجوية الكبرى. وهذا ما لا نقوم به الآن. إذ يجب علينا التعامل مع الشبكات الإرهابية.. ويجب علينا التكيف على العمل فى تلك المناطق الواسعة غير المحكومة التى تتزايد فى عالم اليوم».

وهذا هراء، لأن خطط رامسفيلد هى التى أسهمت فى توسيع نطاق الإرهاب، وهى التى أسهمت فى زيادة مساحة الفوضى.. وفى تدمير الحكومات والحكام الذى لا يسيرون مع مخططاتها وأهوائها.

يواصل رامسفيلد شرح أبعاد استراتيجيته.. ويعترف بأخطائها قائلاً: «نحن نعمل فى مناطق يحظى بها المهاجم بميزة

كبرى. فالإرهابى يستطيع الهجوم فى أية لحظة وفى أى مكان.. مستخدماً أى تكنيك. ولا توجد أية وسيلة فى العالم يستطيع أى شخص أو مجموعة من الدول أن تدافع فى كل مكان وفى أية لحظة.. وباستخدام كل تكنيك. ومعنى هذا أن الخيار الوحيد المتاح أمامك هو أن تطارد هؤلاء الإرهابيين وتهاجمهم حيثما كانوا.. وهذه مهمة صعبة.. بل صعبة جداً. وهى تتطلب قدرات تفوق قدرات البنتاجون على رغم تجاوز ميزانيته ٤٥٠ مليار دولار لأول مرة!! وهى تعنى أننا نتعامل مع تهديد إرهابى يمكن أن يأخذ ويستغل كل تكنولوجياتنا.. أياً كانت: أجهزة الكمبيوتر الشخصية والمحمولة.. البريد الإلكترونى.. وسائل الاتصالات السلكية. يستطيع العدو استغلال كل تلك التكنولوجيات دون إنفاق دولار واحد».

ومن خلال كلام رامسفيلد تتضح عدة نقاط جوهرية:

● فهو يعترف أولاً بمزايا (العدو) ومرونة الحركة التى يتمتع بها الإرهابيون، وأيضاً بتفوقهم التكنيكى (كما حدث فى حرب ميناء تصدير النفط فى البصرة مؤخراً بقوارب صغيرة وسريعة).

● وهو يعترف ثانياً (بضآلة) قدرات وزارته البنتاجون - على رغم ضخامتها الهائلة التى تفوق ميزانيات عشرات الدول

النامية! وهذا مؤشر على أن حروب رامسفيلد بدأت تلقى بظلالها وأعبائها الثقيلة على الاقتصاد الأمريكى.

● وهو يشير - من حيث لا يقصد - إلى أن اتساع نطاق الحرب ضد الإرهاب هو ميزة للعدو، وخطأ أو نقص استراتيجى كبير للمهاجم الذى يجب عليه الذهاب إلى حيث يوجد العدو (الخفى).. وحيث ينتشر فى كل الأنحاء.. حتى فى العمق الأمريكى! ويجب ألا ننسى أو نتناسى أن أمريكا هى التى أسهمت فى خلق هذه الأوضاع المأساوية لنفسها والعالم.

● العيب الرابع الخطير فى استراتيجية رامسفيلد، والذى يتأكد كل يوم مع استمرار وتصاعد الحرب ضد الإرهاب، هو أن الولايات المتحدة أصبحت أكثر خطراً أو تهديدا نتيجة تلك الحرب.. وليس العكس. بل إنه يمكن القول بأن واشنطن تسهم فى إنشاء حضانات جديدة لتفريخ الإرهاب والإرهابيين.. فى كل مكان تخوض فيه حرباً جديدة.

خطايا استراتيجية

وعلى رغم خبرات السنين وتراكم التجارب لدى الوزير رامسفيلد.. فإنه يسير فى طريقه مندفعاً.. رافضاً الاعتراف بأخطائه. إنهم يرفضون الاعتراف بارتكاب أخطاء استخبارية

قبل ١١ سبتمبر.. يرفضون الاعتراف بأخطاء السياسة الخارجية الأمريكية قبل الحرب على العراق.. وخلالها.. وحتى الآن. ومن أبرز التطورات التى شهدتها العراق نتيجة أخطاء استراتيجية رامسفيلد ثورة الشيعة واتحادها مع السنة.. لتشمل أنحاء العراق المحتل.. ليسقط الرهان على التمزق الطائفى والعرقى والمذهبى للعراق. كل هذه الخطايا تؤكد سقوط وفشل استراتيجية رامسفيلد.

ولعل المدخل الصحيح لإنقاذ (المنقذ) رامسفيلد ولإنقاذ الولايات المتحدة ذاتها من أزمتها يكمن فى الاعتراف بخطأ تلك الاستراتيجية.. التى كانت تقوم على القيام بعمليات عسكرية سريعة ومحدودة.. خلافاً لاستراتيجية كولن باول التى قدمها عندما كان رئيساً لأركان الجيش الأمريكى - وتقوم على استخدام قوات ضخمة يتم استخدامها وفق أهداف سياسية واضحة.. وفى إطار استراتيجية محددة لإنهاء الحرب والمعركة. وهما العنصران اللذان تفتقدهما الولايات المتحدة الآن فى العراق.

وقد تأكد سقوط استرتيجية رامسفيلد التى تقوم على نشر قوات أرضية محدودة.. مع انعدام الشرعية الدولية التى تنطلق منها واشنطن لشن تلك الحرب. بل إن المتابع للأحداث يلاحظ مدى تخبط الاستراتيجية الأمريكية وعدم وضوح أهدافها التى

تتغير من آن لآخر.. وفق تطور الأحداث.. وردود الأفعال. كما نتج عن هذه الاستراتيجية الفاشلة والتخبط الأمريكى الواضح.. بروز أوضاع جديدة خطيرة لم تكن فى الحسبان داخل العراق.. مثل اتساع نطاق عمليات الخطف.. وكمائن المقاومة العراقية.. بل مبادراتها بالهجوم.. حتى إن شهر أبريل شهد سقوط حوالى ١٤٠ جنديا أمريكيا (رسميا).. أى أكثر من العدد الذى سقط أثناء العمليات الحربية الكبرى!!

كما أن ارتفاع معدلات القتلى والخسائر الأمريكية والدمار الهائل الذى تشهده المدن العراقية - خاصة الفلوجة تذكر العالم والأمريكان تحديداً بكارثة فيتنام.. بل بكارثة قد تفوق فيتنام وتشكل جراحا أعمق وأخطر منها.

كل هذه الأوضاع المأساوية تذكر العراقيين أيضا بعهد صدام وخطاياه.. وبأن الاحتلال لم يكن أفضل منه.. والشواهد واضحة وبيّنة أمام الجميع. وتبددت كل الوعود الجميلة والديمقراطية والحرية التى عرضتها واشنطن.. تبددت على مذبح الأخلاق والمبادئ فى سجن أبى غريب.. وفى الفلوجة والنجف.!!

كما أن رامسفيلد يزعم أن القوات الأمريكية المزودة بأحدث التكنولوجيات تستطيع الانتصار بسهولة فى أية معركة. فى أى مكان بالعالم.. كما أنه زعم أن قوة ودقة الأسلحة الأمريكية

تعوض نقص عددها وتحرر واشنطن من طلب المساعدة وقوات الحلفاء!! والواقع الحالى يشير إلى العكس تماماً؛ فهو يطلب الآن المزيد من القوات من كافة الدول.. حتى العربية والإسلامية.. بل إنه يستعين بعشرات الآلاف من قوات المرتزقة.. لتنهار المبادئ والقيم والحريات التى تدعو إليها واشنطن.. بأيدى هؤلاء الجنود المأجورين.

واتجه رامسفيلد نحو الاستعانة بقوات الناتو.. أو بقوات تحظى بغطاء الأمم المتحدة.. على رغم أن الحرب ذاتها انطلقت دون تفويض من المنظمة الدولية. ولعله لم يستفد من تجربة بوش الأب الذى حشد العديد من الدول وتحرك فى إطار قرارات المنظمة الدولية لتحرير الكويت ووضع نهاية محددة للحرب.. لم يتجاوزها. أى إنه كانت لديه استراتيجية واضحة الأسس والمعالم.. والبداية والنهاية.

انعدام الأمن فى العراق أكبر الأدلة على سقوط استراتيجية رامسفيلد.. فهو لم يستطع توفير الحد الأدنى من الأمن لقواته.. ناهيك عن المواطن العراقى البسيط المطحون تحت ترسانة أعتى القوى الاستعمارية. وانعدام الأمن لا يعود لتصاعد المقاومة فقط، بل لتصاعد معدلات الجرائم المختلفة: الخطف والنهب والسلب والاغتصاب.. فى مختلف أنحاء العراق. كل هذا يؤكد

عمق أزمة أمريكا.. وفشل (النموذج) الذى تريد تقديمه للشرق الأوسط.. الكبير!! بل انتشرت الميليشيات لتوفير الأمن للعراقيين.. بعد عجز قوات الاحتلال عن ذلك.. وعجز الشرطة التى أقامتها كما استعان الجيش الأمريكى بضباط حزب البعث السابقين لإعادة النظام إلى الفلوجة .. وهذا يمثل شهادة لنظام صدام على رغم خطاياه - وشهادة أخرى - أهم وأخطر - بسقوط استراتيجية رامسفيلد. ولعل هذا التعاون يذكرنا بالألعاب البهلوانية السرية التى كانت قائمة بين واشنطن ونظام البعث. فهل بدأت حقبة جديدة من تلك اللعبة الخطيرة على حساب الشعب العراقى.. ومن أجل إنقاذ واشنطن من ورطتها.. أيا كان الثمن؟!

إن طبيعة وتاريخ العراق تفرض الاستعانة بجيش ضخم وحاكم مركزى قوى لإدارته وتوجيه قدراته وثرواته.. وليس عشرات الآلاف من الجنود. ولعل هذا هو الذى دفع رئيس الأركان الأمريكى السابق إيريك شينسكى إلى القول: (لقد كنا بحاجة إلى مئات الآلاف من القوات لغزو العراق واحتلاله وتوفير الأمن لشعبه)! كما أن التطورات الخطيرة التى يشهدها العراق يجب أن تدفع واشنطن لإعادة النظر فى سياستها والبحث عن حل سياسى للصراع الذى بدأته. يجب عليها الاعتراف بالواقع

الجديدة على الأرض (كما تحاول تبرير صفقة الضمانات التى قدمتها لشارون). كما أن رامسفيلد نفسه اعترف بالفشل فى التنبؤ بمستوى العنف الذى تشهده العراق.. قبل الغزو. وقال للصحفيين: «لم أعتقد أننا سنفقد هذا العدد من الجنود.. ولم يكن أحد يستطيع تصور الحال الذى نحن فيه الآن.. قبل الغزو» (مع العلم أن الأسبوعين الأولين من أبريل شهدا سقوط مائة جندى أمريكى).

وخلال الثمانينات من القرن العشرين قام رامسفيلد- ورفيقه دياك تشينى نائب الرئيس الأمريكى حالياً- بالمشاركة فى برنامج سرى أثناء إدارة الرئيس ريجان. وعلى رغم أنه كان يمارس العمل الخاص فى تلك الفترة.. إلا أنه كان يتوجه بعد انقضاء عمله نهاراً إلى قاعدة أندروز الجوية خارج واشنطن. ومن هناك كان ينضم إلى رامسفيلد وتشينى فريق يشمل نحو ٤٠ إلى ٦٠ مسئولاً فيدرالياً مع عضو من إدارة ريجان.. ثم يتوجهون جميعا إلى مكان ناء بالولايات المتحدة.. مثل قاعدة عسكرية غير مستعملة.. أو مخبأ سرى تحت الأرض. وتنضم إليهم قافلة من الشاحنات التى تحمل أجهزة الاتصالات المتطورة.. إلى موقعين مختلفين.

كان كل من رامسفيلد وتشينى لاعباً رئيسياً فى واحد من أكثر البرامج السرية فى إدارة الرئيس الأسبق ريجان.. وفى إطار ذلك البرنامج.. نفذ المسئولون الأمريكيون تدريبات مفصلة ومخططة هدفها الحفاظ على استمرارية عمل الحكومة الفيدرالية أثناء وبعد حرب نووية محتملة مع الاتحاد السوفيتى. ووفق هذا البرنامج.. تتم تنحية القواعد القانونية والدستورية جانباً فيما يتعلق بخلافة الرئيس الأمريكى فى بعض الظروف الاستثنائية.. واستبدالها بإجراء سرى لاختيار رئيس جديد مع هيئة موظفين.

كما كانت تلك الفكرة تقوم على أساس التركيز على سرعة التحرك للحفاظ على استمرارية الحكومة وتجنب الإجراءات الدستورية البطيئة المعتادة فى هذه الظروف. وقد جاءت فكرة البرنامج السرى من داخل إدارة ريجان ذاتها وليس من خلال رامسفيلد أو تشينى.. وكلاهما لم يحظ بمنصب رسمى أثناء إدارة ريجان.. باستثناء رامسفيلد الذى عمل مبعوثاً خاصاً للرئيس إلى الشرق الأوسط لفترة محدودة. وعلى رغم ذلك فإن كلاً من رامسفيلد وتشينى قام بدور رائد فى إطار هذا البرنامج السرى. وأهمية هذا البرنامج أنه يفسر نمط تفكير وسلوك إدارة الرئيس بوش الحالية خاصة بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١. فقد

أمر رامسفيلد نائبه وولفويتز بالخروج من واشنطن.. وحث تشينى رئيسه بوش بالبقاء خارج العاصمة.. وتحرك تشينى نفسه نحو سلسلة من المواقع السرية.. وتم إيفاد مسئولين فيدراليين آخرين فيما بعد للعمل خارج العاصمة لضمان استمرارية الحكومة فى حالة وقوع المزيد من الهجمات الإرهابية يوم ١١ سبتمبر أو بعده.

كل هذه الخطوات والتحركات تعود جذورها إلى البرنامج السرى الذى تم إقراره وتطبيقه والتدريب عليه خلال إدارة ريجان. وشارك كل من رامسفيلد وتشينى فى تلك التدريبات السرية التى كانت جزءاً فى إطار خطة أشمل لتهيئة الرأى العام للاستعداد لحرب نووية محتملة. والإطار العام لتلك الخطة يقول: إنه فى حال تعرض الولايات المتحدة لهجوم نووى أو فى حالة توقعها هذا الهجوم يتم إيفاد ثلاثة فرق من واشنطن إلى ثلاثة مواقع مختلفة بأنحاء الولايات المتحدة.. ويتم إعداد كل فريق لتولى قيادة البلاد.. وأن يضم كل فريق عضوا من الإدارة تم إعداده وتأهيله ليكون رئيسا محتملاً للولايات المتحدة، وإذا نجح الاتحاد السوفيتى فى تحديد وضرب الفريق الأول.. يتولى الفريق الثانى المهمة.. وهكذا مع الفريق الثالث. ولم تكن تلك مجرد خطة نظرية أو تجريدية فقط.. بل تم التدريب عليها

وتحديد تفاصيلها. وكان كل فريق يحمل لوناً معيناً.. أحمر أو أزرق.. على سبيل المثال. كما يضم كل فريق مسئولاً تنفيذياً مخضرماً يمكن أن يعمل رئيساً لهيئة موظفى البيت الأبيض. والمرشحون لهذا المنصب خدموا فى مستويات تنفيذية عليا، وكان كل من رامسفيلد وتشينى رئيساً لهيئة موظفى البيت الأبيض فى إدارة فورد. وتوقف العمل فى ذلك البرنامج السرى حتى وقوع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. لتعيد إليها الحياة والحيوية!

المسئول الأكبر

وعلى رغم تعدد المشاركين فى تغذية التيار المتطرف واليمين المحافظ داخل إدارة بوش.. فإن رامسفيلد يتحمل المسئولية الكبرى عن الكارثة التى حلت بالعراق.. فهو قائد حروب واشنطن ضد الإرهاب.. وغير الإرهاب. وهو يتحمل مسئولية حملات الكذب والخداع فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل المزعومة.. وهو المسئول عن مزاعم ارتباط نظام صدام بتنظيم القاعدة، ومحاولة ربط أبى مصعب الزرقاوى بما يجرى فى العراق. والأهم من ذلك فإن رامسفيلد هو المسئول الأعلى عن ممارسات الخزى والعار التى ارتكبها ويرتكبها جنوده و(مجنداته) فى العراق عامة.. وفى سجن أبى غريب خاصة. وحتى لو فازت وانتصرت

أمريكا عسكرياً فى العراق.. فإن التاريخ سوف يسجل عليها سلسلة من الخسائر الفادحة المروعة.. بدءاً من الحروب غير المشروعة التى فتحت أبواب جهنم لنمو وازدهار الإرهاب.. ثم إنها بهذه الحروب أعادت سباق التسلح بكل أشكاله - التقليدية والنووية والكيماوية والبيولوجية - على مصراعيه.. ففى ظل انعدام الأمن سوف يسعى الجميع لاقتناء السلاح.. خوفاً من تصاعد البطش الأمريكى.

أمّا الأخطر من ذلك كله.. فإن الولايات المتحدة - والعسكرية الأمريكية تحديداً - قد فازت باحتقار العالم وازدرائه بعد نشر صور فضائح سجن أبى غريب. وهذه المشاهد لا تعكس سوى جانب ضئيل من الواقع المخزى فى العراق.. هذا الواقع الذى يجرى التعتيم عليه بكل الوسائل والضغوط. ولعل ما أزعج إدارة بوش - ورامسفيلد خاصة - ليس حدوث تلك الفظائع والخطايا التى يرتكبها (المحرَرون) الأمريكيون.. ولكن الذى أزعجها وأقلقها هو نشر تلك الصور بعد ستة أشهر من حدوث المأساة!! نعم ستة أشهر كاملة من التعتيم والستار الحديدى الأمريكى على الإعلام.. على رغم أن القادة العسكريين كانوا يعلمون ماحدث. وخلال تلك الأشهر شن رامسفيلد نفسه هجمات قاسية على وسائل الإعلام العالمية عامة.. والعربية خاصة.. حتى كاد

المرء يتصور رامسفيلد رقيباً إعلامياً يتفوق على نظرائه فى عهد ستالين. لسنا ندرى لماذا يهاجم رامسفيلد الإعلام ولا يهاجم جنوده ومجنداته المخطئين؟.. لماذا لا يعترف بأخطائه وبسقوط استراتيجيته.. ليس فى العراق فقط.. بل وفى مواجهة الحرب ضد الإرهاب.. بصفة عامة؟!

❑❑❑

الفصل الرابع عشر

رايس.. مستشارة الأمن المفقود !

في يناير ٢٠٠١ قام ريتشارد كلارك منسق مكافحة الإرهاب - المستقيل - برفع مذكرة استراتيجية إلى سكرتيرة الأمن القومى كوندوليزا رايس.. وطالب بعقد اجتماع رفيع على مستوى وزارى لبحث كيفية مواجهة هجوم محتمل لتنظيم القاعدة.. ولم تهتم مستشارة الأمن القومى بهذا التحذير.. ولم يعقد أى اجتماع لمواجهة هذا الخطر المحتمل حتى قبل أسبوع من وقوع هجمات سبتمبر ٢٠٠١.

تقرير آخر قدمه جورج تينيت مدير الـ CIA إلى الرئيس بوش يوم ٦ أغسطس ٢٠٠١ بعنوان (بن لادن مصمم على مهاجمة الولايات المتحدة). واعترفت مستشارة الأمن القومى بأن وكالة المخابرات الأمريكية قد قامت باعتراض العديد من الحوارات حول تهديد إرهابى وشيك خلال صيف ٢٠٠١. رايس تعترف بكل هذا.. ولكنها ترفض تحمل المسئولية والتبعات التى يفرضها عليها منصبها ودورها ومسئولياتها.

وبعد شد وجذب.. ورفض وتمنع.. وافقت كوندوليزا رايس على المثول أمام لجنة تحقيقات ٩/١١ بالكونجرس الأمريكى للإدلاء بشهادتها. وبعدها يمكن التوصل إلى الكثير من الاستنتاجات التى تصب فى خانة واحدة، ألا وهى: أن رايس لم تنجح فى أداء مهمتها الأساسية.. كمستشارة للأمن القومى الأمريكى.. كما أنها لم تنجح فى تقييم مدى الأخطار المحدقة بالولايات المتحدة قبل تلك الهجمات.. خاصة أن المعلومات والبيانات والوثائق والحوارات التى تجمعت لديها حول تلك الهجمات - من مصادر استخبارية وغير استخبارية تتيح لها رؤية دقيقة للهجمات الإرهابية المحتملة.. قبل وقوعها. كما أن رايس - بحكم منصبها ومهمتها ودورها - لم تتحرك أو تدفع الإدارة إلى التحرك نحو درء تلك الأخطار واتقاء شرورها وآثارها على أمريكا.. والعالم بأسره.

وبعد وقوع أحداث سبتمبر ٢٠٠١.. لم يرتق الأداء الأمنى والسياسى إلى المستوى المطلوب.. ولم يقم على أسس علمية وعملية دقيقة.. فلم تحسن مستشارة الأمن القومى تقييم مخاطر وأبعاد الحرب ضد الإرهاب.. ولم يتم توجيه تلك الحرب فى المسار السليم.. أو بالأسلوب السليم.. وتم إقحام العراق - عمدًا وقسرًا - فى إطار الحرب ضد الإرهاب.. على رغم ثبوت

عدم صلة نظام صدام بالقاعدة، وتأكيد كذب مزاعم امتلاكه أسلحة دمار شامل.

وبعد غزو العراق اتضح أن الإدارة الأمريكية - من ضمن صفوتها وأهم أركانها كوندوليزا رايس - لم تحسن تقييم آثار غزو العراق.. ولم تضع خطة واقية سليمة لمرحلة ما بعد الغزو والآثار الخطيرة التى نجمت عنها.. سواء على إدارة بوش أم على مستقبل الولايات المتحدة بشكل عام.. والعالم أيضا. ولم تعط أهمية حقيقية وتقديرا صحيحا لضرورة المشاركة الدولية (من خلال منظمة الأمم المتحدة) فى الحرب ضد الإرهاب. بل إنها استخدمت نفوذها وضغوطها لإجبار الدول على المشاركة واستغلت الأمم المتحدة كغطاء لتمرير استراتيجيتها.. عندما تشاء.. وتخلعها متى وكيف تشاء!

وقد انعكس ذلك على تراجع تأييد التحالف ضد الإرهاب وانسحبت دول من العراق.. أبرزها أسبانيا.. وتهاوت مزاعم إصلاح وتطوير الشرق الأوسط وادخال الديمقراطية والحريات على الطريقة الأمريكية إليه.. خاصة بعدما انفضحت ديمقراطيتها فى أبى غريب.. وفى مختلف معتقلات بوش.. فى العراق.. لينافس نظام صدام فى المقابر وانتهاكات حقوق الإنسان.. التى لم يكشف إلا القليل منها.. وما خفى كان أعظم!

كل هذه الممارسات تؤكد أن مستشارة الأمن القومى الأمريكى حققت فشلاً ذريعًا فى مهمتها.. وساهمت استراتيجيتها والممارسات العدوانية التى تتبعها بلادها فى تدمير صورة الولايات المتحدة.. بل وزيادة المخاطر التى تتعرض لها.. وتصاعد تهديد مصالحها فى أنحاء العالم. أى إن مستشارة (الأمن) القومى نجحت بامتياز فى تأكيد (انعدام الأمن).. أمريكيًا.. وعالميًا!

أكاذيب..وادعاءات

وفى إطار الأكاذيب التى اعتادت إدارة بوش ترويجها.. حتى كادت تصدقها.. تقول رايس: إنه لم يكن هناك أحد يستطيع التنبؤ بأن مرتكبى هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ كانوا يعتزمون استخدام الطائرات كصواريخ.. وأن تكون تلك الطائرات (مخطوفة). والحقيقة تقول: إنه فى يوم ٦ أغسطس ٢٠٠١ (أى قبل أكثر من شهر على وقوع هجمات سبتمبر) تلقى الرئيس بوش تقريرا من صفحتين ونصف الصفحة يشير إلى أن تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن قادر على شن هجوم كبير ضد الولايات المتحدة.. وأن هذه المؤامرة يمكن أن تشمل خطف طائرة أمريكية. وفى يوليو ٢٠٠١ علمت إدارة بوش أيضا بأن الإرهابيين بحثوا إمكانية استخدام الطائرات كصواريخ.

وفى مايو ٢٠٠٢.. عقدت رايس مؤتمرًا صحفيًا تدافع فيه عن إدارتها إزاء الحقائق والمعلومات التى تقول: إنه تم تحذير الرئيس صراحة من تهديد القاعدة للخطوط الجوية فى أغسطس ٢٠٠١. وقالت رايس: إن بوش طلب هذا التقرير لقلقه الشديد من تصاعد التهديدات الإرهابية فى صيف ٢٠٠١ (كما جاء فى الواشنطن بوست يوم ٢٠٠٤/٣/٢٥). والواقع يشير إلى أنه وفقا للـ CIA لم يطلب بوش هذا التقرير كما ذكر المفوض ريتشارد بن فينست.. مضيفا: أن الـ CIA (وكالة المخابرات المركزية الأمريكية) أخبرت هيئة تحقيقات ٩/١١ بأن مؤلف وكاتب هذا التقرير لم يتلق هذا الطلب من بوش.. وأن فكرة إعداده نبعت من داخل الـ CIA ذاتها.

وفى ٢٠٠٤/٣/٢٢.. قالت رايس: فى شهرى يونيو ويوليو ٢٠٠١.. وعندما تصاعدت التهديدات الإرهابية.. كنا فى مواقع المعارك ومسرح العمليات (مشيرة إلى أفغانستان حيث تتواجد القاعدة وطالبان). ولكن تصريحات رايس هذه تتناقض مع ما نشرته كل من الواشنطن بوست والنيوزويك يومى ٢١ - ٢٠٠٤/٣/٢٢.. حيث قالتا: تؤكد الوثائق أنه قبل هجمات سبتمبر ٢٠٠١.. لم يعط وزير العدل الأمريكى جون اشكروفت أولوية كبرى لمكافحة الإرهاب ضمن الخطط

الاستراتيجية لوزارته التى تضم مكتب التحقيقات الفيدرالى (FBI). كما أن نسخة من خطة اشكروفت الاستراتيجية لم تضع مكافحة الإرهاب ضمن الأهداف السبعة لوزارة العدل.. ولكنها وضعتها كهدف ثانوى (فرعى) تحت بند مكافحة العنف والمخدرات. وعلى النقيض من ذلك.. فإن سلفه وزيرة العدل الأمريكية جانيت رينو.. أعلنت فى أبريل عام ٢٠٠٠ أن الإرهاب أخطر التهديدات التى تواجهنا فى المجال الجنائى. وفى ذات الوقت قررت إدارة الرئيس بوش إلغاء برنامج شديد السرية لمراقبة مشتبهى القاعدة فى الولايات المتحدة.

وتحاول رايس التقليل من ذلك قائلة: حقيقة الأمر أن الإدارة الأمريكية ركزت على تلك القضية (مكافحة الإرهاب) قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١. والحقيقة.. كما أوردتها الواشنطن بوست فى ٢٠٠٢/١/٢٠، هى أن قوة مكافحة الإرهاب التى شكلها بوش وتشينى فى مايو عام ٢٠٠١ لم تجتمع.. ولو لمرة واحدة قبل هجمات سبتمبر. واعترف الرئيس نفسه بالقول: (لم أشعر بالضرورة الملحة والعاجلة إزاء الإرهاب قبل ٢٠٠١/٩/١١).. كما جاء فى كتاب بوب وودورد: (أمريكا فى الحرب).

تقصير.. دون اعتذار!

ولكشف الحقائق وسط جبال الأكاذيب.. نواصل متابعة أقوال وتصريحات رايس التى تقول: إن استراتيجيتنا الأمنية قبل ٢٠٠١/٩/١١ تضمنت خيارات عسكرية للهجوم على قيادة القاعدة وطالبان ومهاجمة قواتها الأرضية وأهداف أخرى.. أى مهاجمة العدو حيث يوجد.. ويعيش).

هكذا صرحت رايس فى شهادتها يوم ٢٠٠٤/٣/٢٢. ولكن الواقع يشير إلى قول جورليك المفوض المسئول عن اللجنة: لا يوجد فى خطة الأمن القومى قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ما يشير إلى أنها تضمنت خطة لغزو (أفغانستان).. ولم تشمل خطة عسكرية.. ورد ريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية الأمريكى مؤيدا استنتاج جورليك: نعم هذا صحيح. ورد (جورليك) هل صحيح أن رايس قالت إن خطتنا تضمنت خيارات عسكرية للهجوم على القاعدة وطالبان؟ فرد أرميتاج: لا.. أعتقد أن ذلك تغير بعد ذلك. أى بعد أحداث سبتمبر (كما ورد فى لجنة التحقيق الخاصة بها). ووسط تصاعد الاتهامات بالتقصير والمطالبة بالاعتذار.. تحاول مستشارة الأمن القومى الدفاع عن رئيسها قائلة: لقد ضاعف الرئيس المخصصات المالية لمكافحة الإرهاب قبل ١١/٩ عدة مرات (كما جاء فى شهادتها أمام الكونجرس، والواقع يؤكد كما

نشرت نيويورك تايمز ونيوز ويك - أن الوثائق الخاصة بالحكومة الأمريكية تشير إلى أن أية ميزانية قدمها بوش عام ٢٠٠٣ لم تشمل إقرار طلبات مكتب التحقيقات الفيدرالى باعتماد ٥٨ مليون دولار لتمويل أنشطة مكافحة الإرهاب لـ ١٤٩ عميلا جديدا.. و٥٤ مترجما إضافيا، و٢٠٠ محلل استخبارى متخصصين فى هذا المجال.. بل إن تلك الميزانية التى قدمها بوش اقترحت استقطاع ٦٥ مليون دولار من البرنامج الذى يقدم المنح للولايات المتحدة والمحليات لمكافحة الإرهاب!

وأكدت النيوزويك أن إدارة بوش عارضت (فى ميزانية ٢٠٠٣) تحويل ٨٠٠ مليون دولار من مشروع الدفاع الصاروخى إلى برنامج مكافحة الإرهاب.. على النقيض مما تقول رايس.

أيضا دخلت مستشارة الأمن القومى الأمريكى فى مواجهة أخرى مع ريتشارد كلارك (منسق مكافحة الإرهاب فى إدارة بوش والذى استقال من منصبه وقدم اعتذارا للشعب الأمريكى عن التقصير الذى تتحمله الإدارة عن أحداث ١١ سبتمبر).. وقالت رايس: لقد كان لدى كلارك الكثير من الفرص لاطلاع الإدارة بأن الحرب ضد الإرهاب تسير فى الاتجاه الخاطئ.. وقد اختار ألا يفعل ذلك.

وتتجاهل رايس الواقع الذى يؤكد أن كلارك قد بعث مذكرة فى ٢٠٠١/١/٢٤ (قبل الأحداث بثمانية أشهر تقريبا) طالبا عقد

اجتماع رفيع على المستوى الوزارى للتعامل مع هجوم وشيك للقاعدة.. وقد اعترف البيت الأبيض بتلك المذكرة.. ولكنه قال: إن مذكرة كلارك لم تتضمن عقد اجتماع رسمى لبحث هذا التهديد ولم يعقد فعلا أى اجتماع.. حتى قبل أسبوع واحد من هجمات سبتمبر، كما أوردت شبكة CBS وتصريح البيت الأبيض، وذكرت رايس أيضا أن إدارة بوش الجديدة - آنذاك - لم تتسلم أية خطة للقاعدة (للهجوم على الولايات المتحدة)، ولكن تقرير لجنة تحقيقات الكونجرس حول هجمات سبتمبر يقول: فى يوم ٢٠٠١/١/٢٥ قام كلارك بتحويل مذكرته الاستراتيجية (التى قدمها فى ديسمبر ٢٠٠٠) مع نسخة من خطة ديلندا Delnda لعام ١٩٩٨ إلى سكرتيرة الأمن القومى كوندوليزا رايس.. أى إن رايس كان لديها علم باحتمالات وقوع ذلك الهجوم الإرهابى الكبير.. قبل حدوثه بشهور وإنها لم تتحرك بالسرعة الكافية، وعلى المستوى الذى يتناسب مع خطر التهديدات لمحاولة احتوائه ودرئه، ومن هنا فإن مستشارة الأمن القومى الأمريكى تتحمل مسئولية كبيرة فى هذا الصدد ليس على مستوى الولايات المتحدة فقط.. بل على مستوى العالم بأسره.. مع الأخذ فى الاعتبار الآثار الخطيرة التى نتجت عن تلك الهجمات.

وتواصل رايس مسلسل التبريرات الواهية، قائلة: لقد قام الرئيس بوش برد هجومى قوى وعدوانى بعد ٢٠٠١/٩/١١، ولكن وثائق الميزانية تشير إلى أنه فى الأيام التى تلت هجمات سبتمبر.. قام البيت الأبيض باستقطاع حوالى ثلث طلبات التمويل العاجل لمكافحة الإرهاب التى قدمها الـ FBI. وحول خطط غزو العراق تقول رايس: لم يوص أى مسئول من مجلس الأمن القومى فى ذلك الاجتماع بغزو العراق، كما أبلغنى الرئيس بوش فى اليوم التالى بضرورة تنحية موضوع العراق جانبا.. ولكن الواشنطن بوست تؤكد بعد ستة أيام من الهجوم على واشنطن ونيويورك، وقع الرئيس مذكرة حملت عنوان (سرى للغاية) موجهة إلى البنتاجون ومكونة من صفحتين ونصف الصفحة، وتطالب وزارة الدفاع الأمريكية بالبدء فى تخطيط الخيارات العسكرية لغزو العراق. وحول الكذبة الكبرى تقول رايس: لم يكن أحد يعتقد أن صداما ليس لديه أسلحة دمار شامل!! والحقيقة الواضحة تقول:إن ديفيد كاى كبير المفتشين الأمريكيين الذى كان مسئولا عن البحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية.. قد استقال من منصبه فى يناير ٢٠٠١ مؤكدا أنه لم تكن هناك أية أسلحة محظورة فى العراق قبل الغزو، وطالب كاى إدارة بوش بإيضاح الحقائق حول التضليل الذى تعرض له الرأى العام الأمريكى فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل العراقية.

تحذير من هجوم القاعدة

وخلال شهادتها أمام الكونجرس كشف ريتشارد فينست (المدعى السابق فى فضيحة ووترجيت) عن عنوان الإيجاز اليومى للرئيس بوش والذى قدمه له جورج تينيت يوم ٦ أغسطس ٢٠٠١ عنوان التقرير يقول (بن لادن مصمم على مهاجمة الولايات المتحدة)، وردت رايس، هذا العنوان لا يعنى شيئًا، فالوثيقة احتوت على مجرد معلومات حول تاريخ القاعدة وخططها وهجماتها المتعددة فى الماضى.. لذا لم يحتو التقرير على تهديد.. ولم يحذر من أى هجوم قادم داخل الولايات المتحدة، ولم يذكر ذلك الإيجاز اليومى المقدم للرئيس أن أمريكا سوف تتعرض للهجوم، ولكنه ذكر أن بن لادن ربما يهاجم الولايات المتحدة.

وقد يرى البعض أن رايس تحاول تقديم تفسير أكاديمى لمعانى الكلمات.. ولكن مستشارة الأمن القومى اعترفت أنه خلال صيف ٢٠٠١ قامت الـ CIA باعتراض ورصد عدد كبير من الحوارات والثرثرات والدردشات حول احتمال وقوع تهديد إرهابى وشيك.. ونقلت عن أحد الحوارات عناوين (هجوم فى المستقبل القريب) و(أخبار لا يمكن تصديقها سوف تحدث خلال أسابيع).. و(اضطراب ضخم جدا جدا جدا) وقالت رايس: إن

تقارير استخبارية (معينة) أشارت إلى أن الهجوم قد يحدث خارج الولايات المتحدة، ولكن قليلا من تلك التقارير الاستخبارية كان (محددا) وأغلبها كان غامضا بشكل يثير الإحباط.. بمعنى أن أغلب تلك الحوارات أو الدردشات كان حول هجوم محلى أو خارجى غامض، ولكن ريتشارد كلارك (منسق مكافحة الإرهاب) أخبرها عدة مرات باحتمال وقوع هجوم إرهابى داخلى.. لذا كان يجب على (رايس) أن تأخذ هذا التهديد بجدية شديدة، ويرد البعض: إن حقائق الوضع لم تكن بتلك البساطة التى يحاول الناس تصويرها الآن.. ولكنها أيضا لم تكن بهذا المستوى من التعقيد الذى يستعصى على قدرات وإمكانات تلك الصفوة التى تتولى إدارة أقوى دولة فى العالم!

وعلى رغم أن تقرير ٦ أغسطس ٢٠٠١ مازال سريا.. فإن الكشف عنه (وهذا غير مرجح)، ربما يفضح عجز الإدارة الأمريكية - خاصة مستشارة الأمن القومى - عن مواجهة التحديات الخطيرة آنذاك.. وبعد ذاك!! وإذا كان التقرير المشار إليه لا يتضمن ما يدين ولا يشين، فلم الإصرار على سريته؟! من الواضح أنه يتضمن ما هو أكثر من المعلومات التاريخية حول تنظيم القاعدة، كما تقول رايس.. بل يشمل التحذيرات المسبقة من الـ FBI، ويذكر السيناتور الديمقراطى السابق بوب كيرى أن

الإنجاز اليومى للرئيس يوم ٦ أغسطس ٢٠٠١ تناول قيام الـ FBI برصد نشاط منهجى داخل الولايات المتحدة يشمل الخطف.

كما اعترفت رايس أمام لجنة التحقيق بأن كلارك أخبرها بوجود خلايا نائمة لتنظيم القاعدة داخل الولايات المتحدة.. وأضافت: لم تكن هناك أية توصية بأن تقوم بفعل أى شىء.. ولم ألاحظ وجود أية إشارة لعدم قيام الـ FBI بملاحقة تلك الخلايا النائمة بصورة كافية.

وهذه الإجابة لمستشارة الأمن القومى تحمل فى طياتها وجذورها أسباب فشل رايس إذ لم تكن تحتاج إلى توصية من أحد للقيام بشىء ما.. فهى تستطيع - بحكم موقعها ومسئوليتها الأمنية الكبرى - تقديم تلك التوصيات بنفسها، وكان لزاما عليها التأكد من قيام مكتب التحقيقات الفيدرالى بملاحقة وإسقاط خلايا القاعدة النائمة.. وحسبما ذكر النائب الديمقراطى السابق تيم رويمر: أليست من مسئوليتك التأكد من أن الأوامر قد تم تنفيذها فعلا؟.. وعلى رغم ذلك رفضت رايس تحمل أية مسئولية عن التقصير فى منع أخطار هجمات ١١ سبتمبر قبل وقوعها.

سلاح بوش السرى!

نأتى إلى الجانب الشخصى فى حياة كوندوليزا رايس.. التى يبدو اسمها ذا لحن إيطالى يعنى (اللعب الحلو)، البعض يقول

عنها إنها أقوى امرأة فى العالم، أو السلاح السرى للرئيس بوش، وقد تدرجت فى حياتها العملية من ممارسة البحث العلمى فى مجال العلاقات الدولية، ثم مسئولة فى جامعة ستانفورد خلال الثمانينات والتسعينات، حتى مستشارة الرئيس بوش للأمن القومى.. الآن.

وقد نالت رايس الثناء والنقد خلال نشاطها العلمى الطويل.. داخل الإدارة وخارجها.. وهى تتسم بالصرامة والحذر فى مجال السياسة الخارجية، وهى فى عامها التاسع والأربعين، وتعتبر أول امرأة وثانى أمريكية - أفريقية الأصل (بعد كولن باول) تتولى منصب مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى، وهى مسيحية محافظة.. مثل مجموعة المحافظين المتشددين المحيطين بالرئيس بوش.

ويرى البعض أن هذا التدين العميق ساعدها على أداء الكثير من مهامها الصعبة (خاصة مكافحة الإرهاب)! تقول رايس: عندما يهمنى ويقلقنى أمر ما.. أقوم بوضع خطة للحركة.. ثم أعطيها للرب الذى لم يخذلنى قط، وقال عنها بوش: سوف تكتشف أمريكا أن رايس امرأة حكيمة وأنا أثق فى حكمها وتقييمها للأمور.. وفى خطابها أمام المؤتمر القومى للحزب الجمهورى عام ٢٠٠٠ قالت رايس: إن الديمقراطية مازالت تتطور فى أمريكا.. وحتى مع أخطائها.. فإن التجربة الأمريكية

الفريدة تقدم نبراسا للذين يعانون فى الأماكن التى يعتبر الخلاف العرقى فيها خطة للقتل.. ولسنا ندرى.. هل تدرك رايس حجم المعاناة الرهيبة التى تسببت فيها استراتيجية إدارتها للشعب العراقى والفلسطينى والأفغانى؟.. هل تدرك مدى الخسائر والدمار الذى لحق بتلك الدول نتيجة حروب قامت على أسس واهية.. بل كاذبة؟!

رايس (غير المتزوجة) عملت فى إدارة بوش الأب كمستشارة للشئون السوفيتية، وعملت مع بوش الابن كمستشارة للشئون الخارجية، ويرى بعض الخبراء أنها أكثر من تولى هذا المنصب نفوذا أو تأثيرا داخل الإدارة الأمريكية منذ عهد هنرى كيسينجر، خلال السبعينات.

ولدت رايس فى نوفمبر ١٩٥٤، فى بيرمنجهام بولاية ألاباما.. عاشت طفولتها فى ظل عنصرية (مقننة) حيث كانت أولى الكلمات التى تعلمها وقرأها الأطفال السود.. عبارة عن لافتات تقول (للملونين فقط)!! وتعلمت والدتها (أنجلينا) الموسيقى والعلوم فى المدرسة العليا الخاصة (للسود فقط) ووالدها جون كان راعى إبرشيه وستمنستر فى بيرمنجهام.

تقول رايس عن طفولتها: كان والداى يتمتعان بقدرات استراتيجية كبيرة، وكنت اتجه نحو الحصول على تأهيل

علمى جيد وأن أفعل كل الأشياء التى كانت محترمة ومقدرة فى المجتمع الأبيض.. حتى أكون محصنة نوعا ما ضد التمييز العنصرى، لقد كان لزاما على أن أكون قادرة على مواجهة المجتمع الأبيض بذات مصطلحاته.. تقصد بذات أسلحته!!

هذه النشأة العنصرية بلغت ذروتها مع كوندوليزا رايس فى واقعتين مؤلمتين لا يمكن أن تنساهما أقساهما حدثت عام ١٩٦١، عندما صحبتها أمها إلى أحد المحال لشراء فستان.. وعندما همت لدخول غرفة قياس الفستان.. نهرتها العاملة البيضاء قائلة: إنها مخصصة للزبائن البيض فقط!! وأخذتها إلى مخزن مخصص للسود فقط كى تقيس فستانها (الجميل)! وأصرت والدة رايس على ضرورة قيام ابنتها بقياس فستانها فى الحجرة المخصصة للبيض وإلا فلن تشترى الفستان، عندئذ خضعت البائعة البيضاء واصطحبتها إلى غرفة بعيدة عن الأنظار.. وظلت ترقبها حتى لا يلاحظها أحد!!. واقعة أخرى لا تنساها رايس، حدثت عام ١٩٦٣، عندما انفجرت قنبلة ديناميت أمام إحدى الكنائس وقتلت أربعا من الفتيات السود الصغيرات.. من بينهن صديقة رايس التى يبلغ عمرها ١١ عاما!

❑❑❑

وبين البداية العنصرية المريرة التى عاشتها رايس والواقع الأسوأ الذى تعيشه شعوب العالم حاليا نتيجة استراتيجية إدارتها ألا تدرك مستشارة الأمن القومى حجم المعاناة والآلام التى يقاسيها الآخرون؟.. أو أنها انفصلت عن الجذور والأصول.. وارتبطت بتلك القبيلة الرهيبة من صُنّاع الشر؟!

❑❑❑

الفصل الخامس عشر

تشينى الصقر الأكبر

إن حرب أفغانستان وغزو العراق هما مجرد الطلقات الأولى فى ذلك الصراع المفتوح.. ونحن مازلنا أقرب إلى بداية ذلك الصراع من نهايته، إنه نوع جديد من الصراع سيستمر سنوات.. ضد نوع جديد من الأعداء!! هذه الكلمات التى أطلقها نائب الرئيس الأمريكى قبل غزو العراق تكشف فكرة واستراتيجية الخطط المستقبلية لصناع الشر.

وديك تشينى هو أكثر نواب الرؤساء الأمريكيين نفوذا وتأثيرا عبر التاريخ الأمريكى.. على رغم حداثته.. ففى الساعات الأولى التى تلت هجمات ١١ سبتمبر، كان تشينى هو الرئيس الفعلى الذى يقود الولايات المتحدة، بينما كان الرئيس (الرسمى) بعيدا عن الأنظار!

وقد كان ديك تشينى وزيرا للدفاع عام ١٩٩١.. خلال حرب الخليج الثانية عندما أسند البنتاجون صفقة سيارات إلى شركة هالبيرتون الشهيرة التى ارتبط اسمها بنائب الرئيس.. وبصناعة

الحروب وأيضا بألاعيب ومناورات السياسة والمال! وحققت الشركة ملايين الدولارات أرباحا من تلك الصفقة، وبعد أن ترك تشينى إدارة بوش الأب - أو بالأحرى عندما هزم بوش الأب - اتجه نائب الرئيس إلى هالبيرتون ليتولى قيادتها فيما بين عامى ٩٥ إلى ٢٠٠٠..

وعندما أصبح تشينى نائبا لـ بوش الابن لم ينس هالبيرتون التى فازت بالعديد من الصفقات عن طريق التكليف المباشر، وإذا كانت علاقة تشينى والشركة الشهيرة قديمة وطويلة.. فإنها تركت الكثير من الآثار السلبية عليه فى مراحل عديدة.. وحتى الآن، وقد سبق للقاضى الفرنسى (رينو فان رومبيك) أن هدد بإعداد مذكرة لاستدعاء نائب الرئيس فى إطار فضيحة فساد كبيرة تورطت فيها هالبيرتون أثناء عملها فى نيجيريا خلال التسعينات، كما واجهت الشركة تحقيقين منفصلين فى نيجيريا والولايات المتحدة بعد الكشف عن قيام بعض موظفيها فى نيجيريا بدفع رشاوى بلغت قيمتها ٢,٤ مليون دولار إلى أحد النيجيريين الذى اتضح أنه مسئول بالضرائب.

فضائح تشينى - هالبيرتون

وتتوالى القضايا التى يتعرض لها تشينى أو يرد فيها اسمه أمام المحاكم، حيث تنظر المحكمة العليا قضية أسرار (قوة الطاقة)

التى كان يتولى إدارتها وترسم سياسة الطاقة للولايات المتحدة الأمريكية.. وتطالب المحكمة بكشف أسرار وأبعاد تلك القضية، كما ثار الكثير من الشكوك حول مدى نزاهة القاضى (انتونين سكاليا)..

وفى الوقت الذى يقود فيه تشينى الحملات العسكرية العالمية للحرب ضد الإرهاب تكشفت أبعاد فضيحة أخرى.. تمثلت فى تعاون هالبيرتون مع (محور الشر) أو الدول التى ترعى الإرهاب - حسب الزعم الأمريكى - فخلال إدارته للشركة (من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٠) قامت هالبيرتون بإنشاء فرع لترويج خدماتها ومنتجاتها فى إيران.. وتبيع حاليا بنحو ٤٠ مليون دولار سنويا فى إيران، وبعد اكتشاف تلك الفضيحة تلقت هالبيرتون خطابا من وزارة الخزانة الأمريكية تؤكد أنها سوف تحقق فى احتمال قيام الشركة بخرق الحظر التجارى الأمريكى المفروض على إيران.. وأعيد فتح التحقيق الذى بدأ أثناء قيادة تشينى للشركة على مدى ست سنوات.. ثم انتهت بحصوله على مكافأة نهاية خدمة سخية جدا.. بلغت ٣٦ مليون دولار إضافة إلى مليون دولار يحصل عليها سنويا من هالبيرتون حتى الآن.

ويرى أنها لا تتعارض مع كونه نائبا لرئيس أكبر قوة فى العالم!

ارتبط اسم تشينى كذلك - أو بالأحرى هيئة موظفيه - بفضيحة الكشف عمدا عن عميله الـ CIA فاليرى بالمى.. وكان السبب فى ذلك زوجها السفير الذى كشف مزاعم إدارة بوش حول سعى العراق لشراء اليورانيوم من النيجر، وعندما أكد السفير هذا الادعاء سرب مكتب تشينى اسم فاليرى بالمى عميلة المخابرات الأمريكية عمدا إلى وسائل الإعلام.. خاصة وسائل الإعلام المتعاونة مع البيت الأبيض، وأكد مسئولو مكتب التحقيقات الفيدرالى أنهم اكتشفوا دليلا قويا على احتمال ارتكاب اثنين من هيئة موظفى تشينى سلوكا جنائيا فيما يتعلق بتلك القضية، وقد تنتهى التحقيقات بإدانتهما.

ويبدو أن مسلسل فضائح هالبيرتون لا ينتهى، حيث يرتبط بأحد المقاولين الخليجيين الذى كان يقدم المؤن للقوات الأمريكية فى العراق.. وحصلت الشركة على نحو ٦ ملايين دولار.. ابتزازا.. الأخطر من ذلك كله أن هالبيرتون - شركة تشينى المفضلة والمدللة - حظيت بعقود ضخمة من البنتاجون بلغت قيمتها نحو ١١ بليون دولار.. حتى إن عضو الكونجرس تامى بالدوين طالب وزير العدل الأمريكى- جون أشكروفت- بفتح تحقيق فى التقارير التى تتهم هالبيرتون بالتجارة مع الدول التى ترعى الإرهاب.. وقال بالدوين: نظرا لأن هذه

الادعاءات تخص الشركة التى أدارها نائب الرئيس الأمريكى خلال فترة الانتهاكات المذكورة.. فنحن نطالب رسميا بتعيين مستشار خاص للتحقيق فى تلك القضية، ومن الواضح أن الأسئلة المثارة حول فضائح هالبيرتون مثيرة وخطيرة.

خسائر حرب تشينى

حرب تشينى ضد أفغانستان، ثم العراق، أدت إلى نزيف مستمر لميزانية البنتاجون، وإلى إثقال كاهل دافع الضرائب الأمريكى، ويبدو أن تلك الورطة مستمرة ومرشحة للتصاعد، خاصة مع طلب البيت الأبيض توفير مزيد من الدعم المالى من الكونجرس للحفاظ على استمرارية احتلال العراق.. ومواجهة المأزق الخطير هناك.

وعلى رغم النفوذ الضخم الذى يحظى به تشينى داخل إدارة بوش.. فإنه لا يتمتع بالشعبية الموازية على مستوى الرأى العام.. بل إنه ربما يكون أقل نواب الرئيس الأمريكى جماهيرية، منذ نائب الرئيس الأسبق سبيرو أجنيو، وليست مفاجأة أن حرب تشينى تكلف أمريكا خسائر مادية وبشرية.. أكثر مما هو متوقع ومقرر ومخطط.. بل أكثر مما هو معلن فعلا!! لقد كانت كل الحسابات التى قدمها نائب الرئيس الأمريكى وقبيلة المحافظين الجدد التى تعاونه خاطئة وكاذبة ومزيفة أيضا.

كل حساباته كانت خاطئة.. حول أسلحة الدمار الشامل العراقية.. وحول ارتباط صدام بالقاعدة، وحول تراجع المقاومة بعد اعتقال صدام فى مسرحية مكشوفة.. وخطأ حول ترحيب العراقيين بقوات الاحتلال على المدى البعيد.

(وواضح الترحيب الشديد.. على المدى القريب !)..

والخطأ الأكبر حول إعلان نهاية العمليات العسكرية الرئيسية فى العراق..!! ويبدو أن هناك خطأ لغويا.. غير مقصود!! فقد شهد شهر إبريل ٢٠٠٤ سقوط أكبر عدد من القتلى الأمريكيين فى العراق (أكثر من ١٣٠ قتيلا خلال شهر واحد) وهو أعلى معدل شهرى للخسائر البشرية الأمريكية منذ بدء الغزو.

الأخطر من ذلك كله أعداد العراقيين المدنيين الأبرياء ضحايا قوات الاحتلال والعمليات الغامضة التى تستهدف الأبرياء بهدف إشاعة عدم الاستقرار وتأكيد الحاجة إلى بقاء قوات الاحتلال حتى لا تعم الفوضى مع أن قوات الاحتلال عاجزة عن حماية نفسها.. فكيف تحمى الآخرين؟!! وإذا كان الضحايا العراقيون يحسبون بعشرات الآلاف.. فإن أحدا لا يهتم بذلك.. وكأن الأمريكيين فقط هم الآدميون الذين يحسب لهم ألف حساب !

وعند تحليل مواقف أعضاء إدارة بوش الحالية.. نلاحظ مدى هيمنة الصقور عليها.. عدا كولن باول وزير الخارجية الذى حذر من نتائج الحرب قبل اندلاعها.. وأن من يشعلها أو يبدأ فسوف يتحمل نتائجها.. كما ورد فى كتاب الصحفى الشهير بوب وود ورد: وإذا كان باول قد حاول التحذير من عواقب الحرب فإن تشينى كان يعارض ذلك تماما. ولكن باول فضل أن يحتفظ برأيه لنفسه.. حتى يبدو داعما لرئيسه أمام الرأى العام.

وكان ديك تشينى هو القوة الدافعة والمحركة لغزو وحرب العراق.. كما أكد (وود ورد). بل إن نائب الرئيس كان مهووسا بحرب العراق والإطاحة بصدام.. حتى قبل هجمات سبتمبر ٢٠٠١ بوقت طويل: كان تشينى تستبد به فكرة مهاجمة العراق.. حتى بدا له أن صداما - دون طغاة العالم بأسره - هو الذى يمثل التهديد الأكبر والوشيك للولايات المتحدة.

وحصل تشينى على الحرب التى أرادها.. وسعى اليها.. وخطط لها! وبعد عام - أو يزيد - على غزو العراق تتكبد واشنطن نحو ٤,٧ بلايين دولار شهريا فى العراق.. أو ما يعادل ١٥٧ مليون دولار يوميا.. وجانب كبير من ذلك المال يذهب إلى هالبيرتون.. شركة الخدمات النفطية التى مقرها تكساس والتى

أدارها نائب الرئيس خلال التسعينات.. ومع ذلك يقول تشينى إنه قطع كل صلاته بالشركة ولا دخل له بالعقود التى يتم إسنادها إليها.. دون مناقصة!

وإذا كانت الخسائر البشرية الأمريكية هى الأخطر ولا يمكن مقارنتها بالخسائر المادية.. فمن الواضح أنها مرشحة للزيادة مع استمرار حرب العصابات المعقدة التى يتخفى خلالها العدو فى ألف وجه.. ووجه! كما نجحت واشنطن فى توحيد العراقيين ضدها وتأجيج مشاعر العداء لها.. بل ودعم جذوة المقاومة خاصة بعد نشر جانب ضئيل من وقائع التعذيب فى سجن أبى غريب. ومن المفارقات أن أسامة بن لادن الذى هاجم أمريكا فى ١١ سبتمبر.. يستخدم العراق أيضا للهجوم عليها.. فهى التى ذهبت إليه هذه المرة.. فقدمت له هدية كبرى للرد.. والانتقام.

وخطورة الموقف فى العراق.. تتمثل فى اتفاق بوش وكيرى - المتنافسين على منصب الرئاسة الأمريكية نهاية العام الحالى على ضرورة بقاء القوات الأمريكية فى العراق.. حتى لا تبدو بلادهم هاربة أو مهزومة فى تلك المواجهة المصيرية التى ستترتب عليها شئون المنطقة والعالم بأسره. أى إن المرشحين - بوش وكيرى - ليس لديهما خطة واضحة أو رؤية محددة للخروج من المأزق العراقى مما يرشحه للاستمرار والتدهور..

أيا كان الفائز بالرئاسة. وإذا كان بوش قد اتخذ قرار الحرب.. فإن ذلك قد تم انطلاقا من أيديولوجية واستراتيجية ديك تشينى ورفاقه الصقور. وإذا أعيد انتخاب بوش فقد تتغير بعض الوجوه فى الإدارة الحالية.. ولكن من المؤكد أن يستمر تشينى وتستمر الحرب معه؟!

الأكثر نفوذا

وعندما تولى بوش السلطة.. ذكر الخبراء والمحللون أن نائبه ديك تشينى هو أحد أكثر نواب الرؤساء الأمريكيين نفوذا وتأثيرا وفعالية فى التاريخ الأمريكى.. على حداثته! وبعد وقوع هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١.. وفى الساعات التى تلت تلك الهجمات.. كان تشينى هو الرئيس الفعلى للولايات المتحدة الأمريكية!! كان يتولى السلطة فى واشنطن.. بينما تم إبعاد الرئيس.. إلى فلوريدا.. خوفا على حياته!! وبعد هجمات سبتمبر بأيام.. راح تشينى يتحرك مكوكيا فى مواضع مختلفة بأنحاء الولايات المتحدة.. على رغم أن الكثيرين يظنون أنه كان فى مقر إقامته الرسمى.. وفى البيت الأبيض.. غالبا!

وعندما عاد تشينى إلى الأضواء فى صيف ٢٠٠٢.. وظهر مجددا على المسرح السياسى.. كان ذلك لأسباب أخرى.. ليس من بينها الحاجة الملحة إليه فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس

الأمريكى.. ولكن بسبب الفضائح المالية والسياسية التى تورطت فيها (هاليبرتون). وواجه البيت الأبيض معركة أخرى مع الكونجرس تركزت على كيفية تأثير شركة الطاقة العملاقة إنرون فى سياسة قوة الطاقة التى اقترحها نائب الرئيس الأمريكى.. قرر الكونجرس تحويل القضية إلى القضاء لإجبار تشينى على كشف تفاصيل اتصالاته مع (إنرون).. بعد أن رفض تقديم الأدلة المطلوبة فى تلك القضية. ويقول معارضو تشينى: إنه لا توجد شركة فى الولايات المتحدة استفادت من سياسات الطاقة وربحت من ورائها.. أكثر من (إنرون).

كما أثيرت تساؤلات أخرى حول علاقات تشينى بصناعة الطاقة الأمريكية.. من خلال التحقيقات التى تناولت أسباب انهيار إنرون. ورفع مستثمرو هاليبرتون دعاوى قضائية ضده وضد أعضاء مجلس إدارة الشركة يتهمونهم بخداعهم. وأصبحت الشركة محور تحقيقات أخرى أجرتها لجنة التحقيقات فى المخالفات المحاسبية فى البورصات.. خلال الفترة التى كان يديرها نائب الرئيس.

وقد لعب تشينى دورا حيويا وخطيرا فى التاريخ الأمريكى الحديث.. سواء فى حرب الخليج الثانية.. أم فى غزو أفغانستان ثم العراق.. وفى عملية رئيس بنما.. وفى البوسنة عندما عارض استخدام القوات البرية الأمريكية عام ١٩٩٢. وربما كانت

خبراته فى مجال السياسة الخارجية أحد أسباب اختيار بوش له - أو العكس! - لخوض انتخابات عام ٢٠٠٠. كما استغل بوش خبرات تشينى عندما أوفده إلى أوروبا والشرق الأوسط - قبل غزو العراق - لحشد الدعم والتأييد للحرب. وإذا كان تشينى يمثل - من وجهة نظر بعض المحللين - جسرا للتواصل بين الخارجية الأمريكية والبنتاجون.. فإنه يبدو واقعيا أقرب إلى صقور وزارة الدفاع فى أغلب القضايا والأزمات! والبعض يرى فى دور تشينى داخل إدارة بوش نوعا من الغموض.. واللغز الذى يصعب تفسيره! فبعد الانتخابات.. قيل إنه يمثل السلطة الحقيقية التى تقف وراء العرش.. عرش بوش! بمعنى أن بوش يتولى المنصب (رسميا).. بينما يقوم تشينى بالسلطات (الفعلية)!

وعلى رغم أن صحة نائب الرئيس أثارت الكثير من التساؤلات والتعليقات.. فإنها كانت - وما زالت - مصدر قلق خاصة بعد أن قام بإجراء عملية جراحية كبرى فى القلب فى يوليو عام ٢٠٠١.. بعد أن داهمته سلسلة من النوبات القلبية المتوسطة أعوام: ٧٨- ٨٤-١٩٨٨.. ثم تكررت خلال حملة الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٠.

ومن المؤكد أن لعبة توازنات القوى داخل إدارة بوش شديدة التعقيد والحساسية. ومع معرفة البعض بمدى السلطات

الحقيقية والنفوذ الأكبر الذى يتمتع به نائب الرئيس.. فقد تراجع ظهوره - عمدا - عن الأضواء.. حتى يستعيد الرئيس مكانته وصورته اللائقة.. خاصة بعد اختفائه فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١؟! وعلى رغم ذلك.. فإن تشينى ما زال يحتفظ بقاعدة قوية لسلطاته ونفوذه داخل إدارة بوش.. خاصة من خلال مجلسه المصغر للأمن القومى.. أو مجلس الظل الحاكم الفعلى لقضايا الأمن.. وليس مجلس كوندوليزا رايس!! وأيا كانت طبيعة دوره.. وحدود سلطاته.. فإن نائب الرئيس كان - وما يزال - لاعبا مخضرما فى ادارات جمهورية عديدة.. ويحتل مكانة رفيعة فى العاصمة واشنطن بخبراته ومؤهلاته.. الداخلية والخارجية.

السرية والتعتيم

يقول جون دين المستشار السابق للرئيس نيكسون: إن تشينى يسعى إلى إخفاء ودفن المعلومات الاستخبارية التى حصل عليها الرئيس يوم ٦ أغسطس ٢٠٠١.. أى قبل أكثر من شهر على هجمات سبتمبر. ولم يمثل تشينى أو بوش أمام لجنة التحقيقات داخل الكونجرس.. بل إن اللجنة هى التى ذهبت إليهما! ولم يدليا بالقسم.

ورفض تشينى التحقيق فى تلك القضية محذرا منتقديه من السعى للحصول على مكاسب سياسية من خلال تقديم اقتراحات

مثيرة للفتنة!! كما حذر معارضيه الديمقراطيين من أنهم قد يساعدون (العدو) بالخوض فى قضايا لا تريدها الإدارة!! وخطورة هذا التحذير فى أنه يصف معارضيه بعدم الوطنية عند الخوض فى تلك القضايا السرية!!

ولم يكن الديمقراطيون هم المستهدفين وحدهم بهذا التحذير وبمحاولة فرض ستار كثيف من السرية والتعتيم على مسائل حيوية وخطيرة.. بل إن الهجوم تناول بعض منتقدى تشينى من الجمهوريين.

خطورة الأمر - كما يقول جون دين - أن مسألة السرية قد ارتقت إلى مستوى السياسة المعتمدة التى تتبعها إدارة بوش.. وتهدد بأن تكون تلك السرية غاية فى حد ذاتها!! ويمثل الامن القومى أحد مبررات ومسوغات فرض سياسة السرية. لذا تعرضت تلك السياسة لانتقادات عديدة وحادة.. ومنها ما ذكرته كاتبة العمود الشهيرة (فيليس سكالفيلى).. وقارنت بين رفض نائب الرئيس لكشف سجلات (قوة الطاقة).. وبين رفض الرئيس السابق كلنتون الإفصاح عن الوثائق التى تكشف أعضاء قوة المهام التى شكلتها هيلارى كلنتون حول مسألة الرعاية الصحية.

ورد (بروس فين) المسئول السابق بوزارة العدل الأمريكية على مزاعم البيت الأبيض إزاء الحاجة إلى فرض سياسة السرية

قائلا: إن تلك السياسة تؤدى إلى تآكل السلطات الرئاسية. وما يزعمه نائب الرئيس حول السرية أمر مناف للمنطق.. قانونيا وتاريخيا. إنها محاولة لخداع العالم.. وتوفير الحماية للرئيس بوش!!

ويحاول بوش ونائبه تشينى التأكيد على أهمية سياسة السرية على وثائق ما قبل ١١ سبتمبر.. زاعمين بأن فضيحة ووترجيت (فضيحة التنصت أثناء عهد الرئيس نيكسون) قد أضعفت الرئاسة الأمريكية. ولكن جون دين - مستشار نيكسون يعتقد أن العكس هو الصحيح.. مشيرا إلى أن ووترجيت لا تبرر سياسة السرية والتعتيم التى يفرضها نائب الرئيس حاليا.. بل إنها تبرر الانفتاح وكشف الحقائق.

هناك جانب آخر يتناوله جون دين.. ألا وهو عدم توازى أو تناظر سلطات الكونجرس والرئيس الأمريكى حاليا.. مشيرا إلى أن التاريخ الأمريكى شهد - على قصره - تنافسا بين الرئيس والكونجرس على السيطرة والهيمنة التى كانت تئول إلى الكونجرس غالبا. ولكن ذلك الوضع لم يعد قائما الآن. ومنذ رئاسة روزفلت أصبح الجهاز التنفيذى - الإدارة الأمريكية - هو المسيطر والمهيمن. والواقع يقول: إن الكونجرس حول كثيرا من سلطاته التشريعية إلى الإدارة أو الجهاز التنفيذى.. من خلال

السماح لوكالات الإدارة القوية بصناعة القوانين تحت رعاية وحماية المجالس التشريعية التى منحتها تلك السلطات؟!

صراع مفتوح

وحتى نعرف أبعاد تفكير واستراتيجية تشينى.. نستمع إلى ما قاله قبل حرب العراق: إن حرب أفغانستان والغزو المقترح للعراق هما مجرد الطلقات الأولى فى صراع مفتوح.. ونحن ما زلنا أقرب إلى بداية ذلك الصراع من نهايته. لقد دخلت الولايات المتحدة نوعا جديدا من الصراع سيستمر سنوات.. ضد نوع جديد من الأعداء. وسوف تكون تلك الحملات أكثر قوة وحيوية فى المستقبل.. فهناك عالم إرهابى خفى ينتشر فى أكثر من ٦٠ دولة.. والأمم المتحدة تضم ١٨٩ عضوا.. أى إن ثلث العالم هو وطن هذا العدو الإرهابى الخفى.. أى إن تلك الدول (الـ ٦٠) ستكون هدفا مشروعا للتدخل الأمريكى. وقد جاءت هجمات ١١ سبتمبر لتوقظ أمتنا وتنبهنا إلى خطر شبكة الإرهاب العالمى.. وإلى حقيقة سعى أعدائنا للاستحواذ على أسلحة الدمار الشامل.. وأن هؤلاء الأعداء لن يترددوا فى استخدامها ضدنا.

هذا التصريح الخطير يكشف أبعاد استراتيجية نائب الرئيس الأمريكى.. كما يوضح خفايا شخصيته ونمط تفكيره:

● فهو أولا يعتبر أن ثلث العالم هو مسرح تلك الحرب الشاملة المفتوحة.. وأغلب تلك الدول - إن لم تكن كلها - عربية وإسلامية.

● وهو ثانيا.. يعتبر أن أفغانستان والعراق هما مجرد مرحلتين أوليين فى تلك الحرب الواسعة.

● وهو ثالثا.. يعتبرها حربا طويلة المدى.. تستمر سنوات.. معلومة البدايات.. مجهولة النهايات.. والغايات!!

● وهو رابعا.. يسعى عمدا إلى استثارة الرأى العام الأمريكى من خلال بث الخوف والرعب من الإرهاب ومن سعى بعض الدول لامتلاك أسلحة الدمار.. على رغم أن ما تمارسه قوات الاحتلال الأمريكى فى العراق.. والاحتلال الإسرائيلى فى فلسطين هو أبشع صور وممارسات الاحتلال.. وهما أصحاب أضخم وأخطر ترسانة لأسلحة الدمار الشامل.. والأسلحة التقليدية أيضا. إنها محاولة مفضوحة لإشعال الحروب والأزمات والعمل على إطالتها وتوسيع نطاقها حتى تبقى مجموعة صناع الشر فى السلطة لأطول فترة ممكنة.. متسترة بكل الحجج الأيديولوجية والعقائدية الكاذبة.. ومتسلحة بكل الأساليب الاستبدادية المتاحة.

وإضافة إلى ما عرفناه عنه.. يجب أن نعلم أن نائب الرئيس لديه اتصالات وصلات واسعة بقطاع المال والأعمال.. وكان عضوا

بارزا فى معهد (أمريكان انتر برايز) اليمينى المتطرف.. وعمل فى المجلس الاستشارى (للمعهد اليهودى لشئون الأمن القومى) JINSA .. ويرتبط بمشروع القرن الأمريكى الجديد. وخلال عضويته بالكونجرس الأمريكى.. عارض قانون الحقوق المتساوية.. وهو معارض قوى للإجهاض.. ويؤيد أداء الصلاة فى المدارس. كما عارض - ضمن ٢١ عضوا فقط - حظر بيع الرصاص الخارق للدروع.. كما عارض - ضمن ٤ أعضاء فقط - فرض حظر على الأسلحة التى يمكن تمريرها من خلال أجهزة الكشف عن المعادن! وعارض فرض العقوبات على النظام العنصرى السابق فى جنوب أفريقيا.. وصوت ضد قرار يدعو لإطلاق سراح نيلسون مانديلا!

❑❑❑

هذا هو الجانب (المعلوم) من حياة وأنشطة نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى الذى يرتقى ذروة صقور الإدارة الأمريكية الحالية.. بكل جدارة واستحقاق.. هؤلاء الصقور الذين يسيطرون على أمريكا.. ويخططون للسيطرة على العالم من خلالها.. وعلى مدى عقود قادمة.

هكذا خططوا منذ عقود.. وينفذون استراتيجياتهم الآن.. على أرض الواقع.. دون معارضة حقيقية من العرب والمسلمين الذين تستهدفهم تلك الحرب الظالمة المنسقة لصناع الشر.

الخاتمة

وهكذا يخوض صناع الشر حملاتهم الشرسة ضد العالمين العربى والإسلامى على مختلف الجبهات: السياسية والإعلامية والعسكرية.. وأيضا الأيديولوجية.. وهى الجبهة الأخطر فى الحرب المفتوحة التى لا تبدو نهايتها وشيكة.. ولا يعرف أحد مداها الجغرافى.

صناع الشر يخوضون نوعًا جديدًا من «الحروب الفكرية الاستباقية» التى تستهدف إعادة صياغة الواقع العربى والإسلامى.. وتقديم نوع من «الإسلام المعتدل».. وفق رؤيتهم وتفكيرهم.. ومخططاتهم. وليس أدل على ذلك من التحذير الذى أطلقه نائب وزير الدفاع الأمريكى بول وولفوويتز.. خلال أغسطس ٢٠٠٤.. وحذر فيه علماء المسلمين من مجرد توفير ملاذ جديدًا «فكرى» آمن للإرهابيين.

هذه الحرب «الفكرية الاستباقية» ربما تكون أكثر خطورة من الحروب العسكرية.. وأخطر من حروب التطهير العرقى والإبادة الجماعية.. لأنها تستهدف هوية الأمة.. وفكرها.. وتراثها العريق. ومع ذلك فإن عمق حضارتنا ورسوخ ثقافتنا

وتعدد روافدها يجعلنا واثقين من صلابة أمتنا فى تلك المواجهة الشرسة. فهذه الحروب المنظمة - فكريا وعسكريا وإعلاميا - تجعلنا أكثر تمسكا بعقيدتنا.. وأحرص على هويتنا وثقافتنا. والتاريخ شاهد على ذلك.. فكم زالت إمبراطوريات.. وكم رحل مستعمرون.. وطوتهم صفحات التاريخ.. وبقيت الأمة العربية والإسلامية.. على رغم كل الكوارث والمحن..

أحمد شاهين

العدد القادم

أحلام شهر زاد

طه حسين

فهرس

مقدمة : ٧
الفصل الأول : التنظير للشر ١١
الفصل الثانى : وولفوويتز مهندس الحرب ٢٣
الفصل الثالث : دوجلاس فيث لاعب وراء الكواليس ٣٤
الفصل الرابع : واينر ماكينة صناعة الشر ٤٦
الفصل الخامس : ديفيد فروم المبشر بالحرب ٥٩
الفصل السادس: إليوت كوهين.. منظر الحرب العالمية الرابعة . ٧٠
الفصل السابع : خليل زاد: الصقر الأفغانى ٨٢
الفصل الثامن : فوكوياما ينتهى والتاريخ مستمر ٩٤
الفصل التاسع : أحدث الطبعات العنصرية لهنتنجتون ١٠٥
الفصل العاشر : كريستول.. الأب الروحى للشر ١١٧
الفصل الحادى عشر : سكوتر فى الدائرة الشارونية..... ١٢٨
الفصل الثانى عشر : ترسانة (اشكروفت) الاستبدادية ١٣٩
الفصل الثالث عشر : سقوط استراتيجية رامسفيلد..... ١٥٢
الفصل الرابع عشر : رايس مستشارة الأمن المفقود ١٧١
الفصل الخامس عشر : تشينى الصقر الأكبر ١٨٨

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٣٦ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٥٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٧٥ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات بإدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة.

أو بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة

رقم الإيداع	٢٠٠٤/١٥٧٨٣
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6705-8

١/٢٠٠٤/٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

محور الشر« مصطلح خرج من جلباب المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة فأصبحوا بالفعل »صناع الشر« .. أغلبهم من اليهود وخطورتهم تكمن فى أنهم يحتلون مواقع السلطة والقيادة فى إدارة بوش.. يطمعون ويطمحون فى استمرار سيطرتهم على مواقع صناعة القرار والنفوذ خلال انتخابات نوفمبر ٢٠٠٤. وعلى مدى الشهور الماضية تهاوى بعضهم وخرج من إطار السلطة تحت وطأة فشل الحملة الأمريكية ضد الإرهاب.. وقد يخرج البعض الآخر خلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية هذا العام.

إلا أن هذا لا يعنى نهاية »صناع الشر« كتيار يمينى متشدد يحاول الاستناد إلى جذور سياسية ودينية ويخدم مصالح اقتصادية واستراتيجية تتجاوز حدود الولايات المتحدة إلى العالم بأسره.

دار المعارف

٤٠٧٥٩٩/٠١